الجزء الأول   السنة الأولى   ١٩٤٣



اناء من الفخار . تركيا — النصف الثانى من القرن السادس عشر .
متحف فيكتوريا والبيرت

مجلة أدبية فنية جامعة لشتى الأقطار

البنك العثمانى

تأسس سنة ١٨٦٣

رأس ماله ١٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه انجليزى * المدفوع ٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه انجليزى * الاحتياطى ١,٢٥٠,٠٠٠ جنيه انجليزى

---

٢٦ ثروجمورتون ستريت لندن

٥٦ - ٦٠ كروس ستريت ، مانشستر

❀ ❀ ❀

استانبول

فروع وعملاء فى جميع بلاد الشرق الادنى

تركيا مصر فلسطين شرق الاردن قبرص العراق

ايران سوريا لبنان

جميع عمليات البنوك

الأدب والفن

المحتويات

يسر ادارة التحرير ان يوافيها القراء بمقالات لنشرها. وقرار هيئة التحرير فيما يتعلق بقبول هذه المقالات قرار نهائى. وستعاد المقالات لاصحابها فى حالة ما اذا قاموا مقدما بدفع تكاليف البريد. وعنوان رئيس التحرير :—

The Editor "Literature & Art"
c/o Hodder & Stoughton Limited, London.

شعراء انجلترا المعاصرون

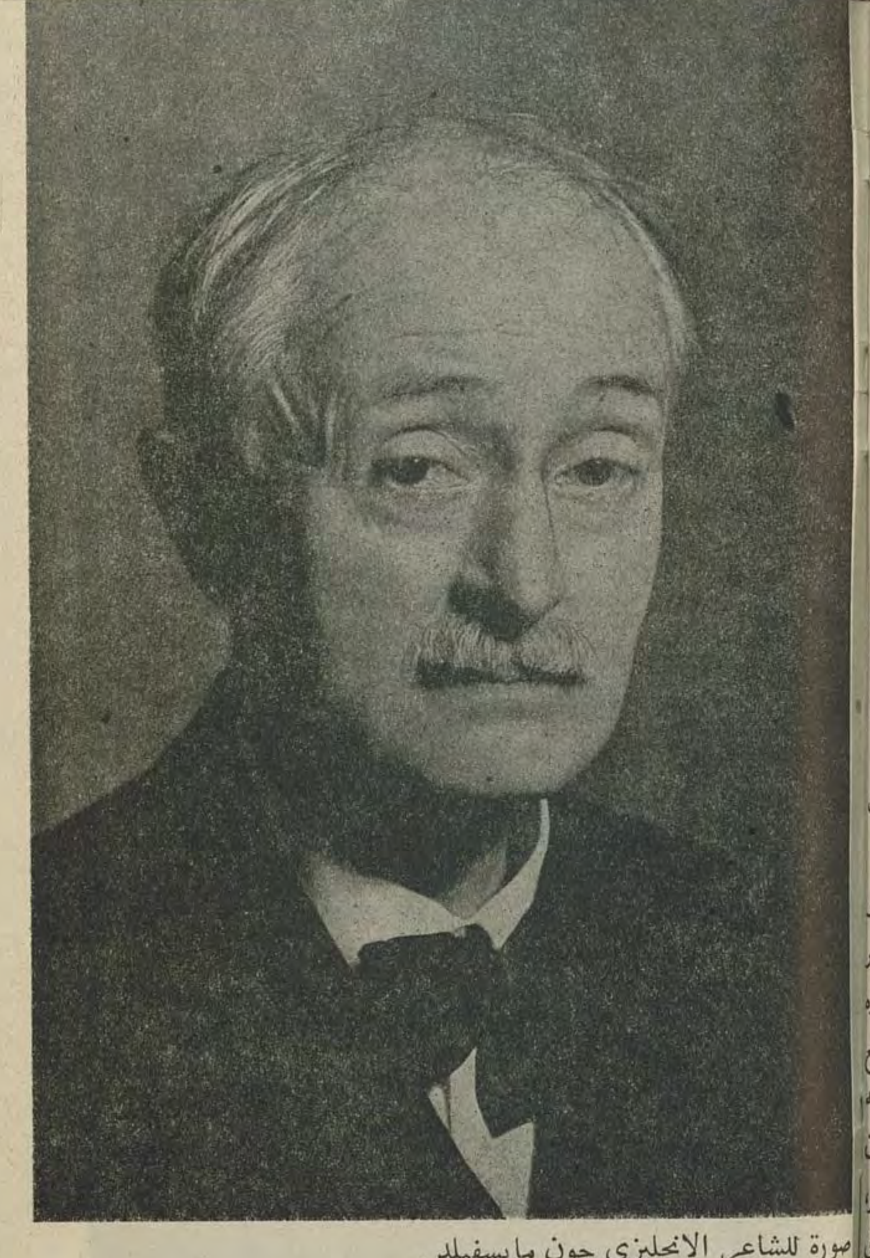
١ - جون ماسيفيلد

نعتزم ان نقدم فى هذه المجموعة لقرائنا من ابناء العروبة الذين قد لا يكونون على المام بالشعر الانجليزى بعض كبار شعراء انجلترا المعاصرين ونرجو ان نوفق بالمجموعة المختارة التى سنقدمها لاثبات ان روائع الشعر الانجليزى لم تنفد بعد وانه على العكس لم يسبق فى تاريخ الادب الانجليزى ان كان فى مثل مستواه الحاضر .

وهذا بلا شك عمل كبير اذا لاحظنا ان آداب اللغة الانجليزية تحتوى على كثير من اعظم قطع العالم الشعرية وان الشاعر الانجليزى المعاصر عندما يبدأ كتابة شعره يبدأها وهو على يقين من ان ما يكتبه سيكون محل مقارنة مع ما كتبه شعراء آخرون معروفون مثل شيكسبير وميلتون وشيلى ووردسورث وتينيسون .

وعلى اى الاحوال فمهمتنا قاصرة على تقديم الدليل ولقرائنا بعد ذلك ان يقضوا فى دعوانا .

ومن الحق ان نبدأ فى اول مقال من هذه المجموعة بالحديث عن اكبر شعراء الانجليز المعروفين فى العصر الحاضر : جون مايسفيلد، ليس لانه اشهر الشعراء الانجليز المعاصرين واكبرهم فقط بل لان هذا الامتياز على غير من الشعراء قد اعترف به رسميا ايضا بمنحه لقبا خاصا يميزه على جميع الشعراء. ومع انه من الطبيعى انه ليس كل من كان من حظه ان انعم علي بهذا اللقب هو عظيم شعراء عهده او حتى شاعر عظيم على الاطلاق اذ ا المحاباة ربما كانت قد اثرت فى بعض العهود على من تولوا هذا الاختيا ولكن الواقع ان اختيار مايسفيلد محل روبرت بريدجز قوبل باجماع ف الآراء على انه ليس فى الامكان اعدل من هذا الاختيار .



صورة للشاعر الانجليزى جون مايسفيلد .



«سفينة صيد بليموث» بريشة شارلس نابير هيمى (عضو الاكاديمية الملكية).



«حصادهم الوحيد» بريشة كولين هنتر (تيت جاليرى).



«صيد الراى» بريشة نابير هنرى (شانترى بيرشيس).

قد ولد جون مايسفيلد فى عام ١٨٧٤ ولم يلبث ان واجه صعوبات الحياة ومشاقها اذ انه اخذ يعمل فى البحار من سن الرابعة عشرة وكان ذلك ايام السفن الشراعية تواجه صعوبات البحار واخطار الملاحة. وكذلك واجه مايسفيلد شاعر المستقبل وهو لا يزال حدثا لم يشب عن الطوق، الطبيعة بكل قوتها وجبروتها وقد تركت الخبرة التى اكتسبها بقضاء تلك الايام والليالى فوق البحار العاصفة آثارا لا تمحى فى ذهنه فتعلم بذلك فى مدرسة الحياة وهى اشق المدارس واقساها كيف يزن الانسان ويقدر الاشياء حقيقة قدرها. فليس من العجيب بعد ذلك ان يمتاز شعره بنضوج مبكر وتعقل عملى يصعب ان يبارى فى جميع الشعر الانجليزى الحديث. ولكن مايسفيلد شغف فوق كل شىء بحب البحر وتقاليد الحياة فيه وبذلك اصبح الشاعر الكامل لامة البحار. ورغم كل مصاعب حياة البحر فانه دائم الحنين اليها وهو يقول فى ذلك :

يجب ان اعود الى البحار ثانية، بين البحار المنعزلة والسماء المتسعة
وكل ما ارجوه سفينة ممتدة ونجم متألق يرشدها الطريق
وارتطام العجل وهزيج الريح واهتزاز الشراع
وضباب منتشر على سطح البحر وفجر ينبثق نوره فى الصباح.

يجب ان اعود الى البحار ثانية لان نداء الامواج المتلاطمة
هو نداء عنيف واضح لا يمكن نكرانه
وكل ما ارجوه يوم عاصف وقد تلبدت فيه السحب البيضاء تجرى مسرعة
وتطايرت قطرات الماء وارغد الزبد وتجاوبت اصوات طيور البحر.

يجب ان اعود الى البحار ثانية الى الحياة البوهيمية الشاردة
الى طريق الطيور والاسماك حيث تعصف الريح كسكين قاطع
وكل ما ارجوه حديث ممتع بهيج مع مسافر مرح دائم الضحك
ونوم هادئ وحلم هانىء بعد ان تنتهى الرحلة الطويلة.

وهذه بلا شك ليست اقوال رجل من اصحاب النظريات جلس فى مكتبه او فى حديقة هادئة وهو يتأمل جمال الطبيعة متجردا وانما هى اقوال رجل تألم وعرف الحياة وقد قاومت نفسه مصاعب الريح والامواج القاسية واستمتع بالتغلب والانتصار على اقصى ما يمكن ان يوجهه القدر من صعوبات وصدمات .

وحرفة البحار هى من اقدم الحرف بدأ الانسان يتنقل بسفينته ليعود بها محملة بالنفائس سالمة الى الميناء وذلك مذ وجدت فكرة الاتجار. والشاعر بخياله الشاعرى يقطع القرون ويتأمل تعاقب الحوادث وفعل الزمن ويجمع بذلك فى لوحة شعره بين بابل وبريطانيا معا :

سفينة نينوى العراقية التى شقت البحار من اوفير البعيدة
عائدة الى مينائها فى فلسطين ذات الشمس الساطعة
محملة بالعاج والقرود والطواويس
واخشاب السندل وارز لبنان والنبيذ الابيض الحلو .

والسفينة الاسبانية العظيمة عائدة من الخليج
تترنح على المياه الاستوائية التى انتشرت على جوانبها اشجار النخيل
محملة بالماس والعقيق
والزمرد والتوابل
والياقوت والقرفة والنقود الذهبية .

وسفينة الساحل البريطانية المعتمة
وقد تركت الاملاح آثارها بمدخنتها التى خيم عليها الدخان
تشق طريقها بين الاعاصير فى ايام شهر مارس العابثة
محملة بفحم التاين
وقضبان الطرق وظهر الصلب
واخشاب الحريق والادوات الحديدية وصوانى الصفيح الرخيصة .



«دوجر بانك» بريشة ستانفيلد (متحف سوث كينزينجتون) .

وما يسفيلد اكبر بكثير من ان يكون شاعر البحر والبحار فقط فقد كتب بعض اجمل قطع الغناء الجديرة بتقاليد الشعر الانجليزى ولعل اجملها القطعة الآتية :

«قريبا من فالباريسو» بريشة سومرسكيلز (تيت جاليرى) .

لقد شاهدت الفجر وغروب الشمس فوق البرارى والتلال التى
تعصف بها الرياح
وقد اقبلا بجمال عظيم يذكر بنغمات موسيقى اسبانيا القديمة
لقد شاهدت شهر ابريل كالسيدة الحسناء تقبل بازهار النرجس
الصفراء
وتقبل بحشائش الربيع الخضراء وامطار ابريل الدافئة الناعمة .
لقد سمعت انغام الزهور واغانى البحر القديمة
وشاهدت اراضى عجيبة من تحت شراع السفن البيضاء
ولكن اجمل ما اتاح الله لى مشاهدته من جمال
هو صوتها وشعرها وعيناها وشفتاها القانيتان .

والبحار فى صراعه مع البحر الثائر يتجه دائما بابصاره الى الافق الممتد البعيد، والشاعر فى احلامه يبحث كذلك فى آفاقه عن مرسى لتصوراته يستطيع ان يحقق فيها احلامه . ومايسفيلد كشاعر وبحار يعبر عن كل منهما فى كتابته :

نحن لا نحظى بصداقة الاصدقاء ولا حب العاشقين
ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه
ولكنا نملك الامل فى رحاب الله الذى ينتظرنا على نهاية الطريق .
فليس من حظنا ان ننعم بالراحة والسلام والهدوء
لاننا نبحث عن عالم لن نعثر عليه .
فليس من رحمة لنا على سطح الارض ولا لامثالنا
الذين يبحثون عن عالم مختف لن نراه ابدا .
ولن نرى غير الطريق وطلوع الفجر وبثوق الشمس والريح
والامطار
والرقيب يترصد الطريق فى ضوء النجوم ولن نرى غير النوم ثم
الطريق ثانية .

نحن نبحث عن رحاب الله ومأوى الجمال
فنجد بدلا عنها ضجيج السوق ودوى الاجراس التى تدق عند
دفن الاموات .

ولن نرى المدينة الزاهية حيث يلتقى الاشخاص الذين تشع نفوسهم
بالفرح
بل المدينة التى تظهر بالآلام ويزدحم فى طرقها المحزونون .
نحن نقطع الطريق المترب حتى يخيم الظلام
ويكشف لنا غروب الشمس عن ابراج قد امدت فى الآفاق البعيدة .
نحن نقطع الطريق من الفجر الى الغروب حتى يختفى النهار
بحثا عن المدينة المقدسة الكامنة خلف الآفاق .
فنحن لا نحظى بصداقة الاصدقاء ولا حب العاشقين
ولا نملك ثروة ولا منزلا نأوى اليه
ولكنا نملك الامل فى رحاب الله الذى ينتظرنا على نهاية الطريق .

ذلك هو الخيال الروحانى الذى حفظ الشاعر فى كل المصاعب التى مرت به فى حياته الطويلة المليئة بالاخطار وهى حياة التقت فيها الافراح بالاحزان على ان مايسفيلد قد وقع بـه منذ شهور قليلة اقسى الصدمات وهى فقد ولده فى ميدان القتال فى مصر ولكن شعره الذى يعرض بكل اخلاص الحياة بشرها وجمالها يجرى فيه دائما ايمان مقدس بان النصر النهائى مضمون للحب والجمال .

عندما تنفصل الروح عن الجسد
وتخمد حركة الجسم الذى كان ينبض يوما بالحياة
وعندما يبحر الجسم فى عالم اللانهائية



«سفن الصيد وقد بعدت عن الارض » بريشة هنرى مور (تيت جاليرى) .

ايتها الروح حطمى الشباك
شباك الخديعة والنسيان
دقـقى النظر ان الشمس على حافة الغروب

دقـقى النظر وليغمرك الفرح
وتمعنى فى الصورة فى انتباه ووضوح
وليغمرك حب الصورة باعزاز واخلاص

اذ انه يتولد عن الحب والمشاهدة
ويخلق منهما الجمال نفسه
فالجمال لنا كالملكة
التى تحفظنا بروح هادئة
وتجزينا بالحب الخالص
فى رحاب بلاطها الدائم الخضرة .

عَــدُو النّــور

بقلم محمود محمد شعبان

مقدمة

فردريك نيتشه فيلسوف ألمانى خرج للعالم بفلسفته عن القوة وبشر بما أسماه الانسان المتفوق – وقد جحد هذا الفيلسوف كل شىء عدا ذلك فسخر من الاخلاق والدين والمثل – التى يؤمن بها العالم . وأودى به هذا التخبط الفكرى آخر عمره الى الجنون .

ويذهب بعض المفكرين الى أن فلسفة هذا الرجل قد أثرت فى عقلية الشعب الالمانى ففتنته بطلب السيادة على العالم هازئا بكل ما تحرص عليه الانسانية من آداب ومثل . وقد عنّ للكاتب أن يقرأ شيئا عن فلسفة هذا الرجل علها توحى اليه شيئا يفيده . فاوحت اليه فيما أوحت هذه القصة التى يقدمها الى هؤلاء الذين يحبون النور فى كل مكان على الارض والى هؤلاء الذين يدفعون جيوش الظلام عن الذبالة التى تضىء العالم فى صبر وجلد حتى لا تنطفئ فيخيم الظلام على الوجود .

الوقت : تقع حوادث القصة فى أى عهد من العهود التى يحاول فيها الظلام ان يسود العالم .

المكان : ردهة فى قصر الملك .

(يقف حارسان فى الظلام)

الاول – أيها الزميل كم الساعة . . . .

الثانى – وماذا يعنيك من أمر الساعة يا صاحبى؟

الاول – أريد أن أعرف متى تنتهى حراستنا فقد سئمت الوقوف فى هذا الظلام . ألن يتأتى لنا أن نرى النور ثانية فى هذا القصر؟

الثانى – من يدرى متى يحين الوقت يا صاحبى؟

الاول – هل تذكر ذلك اليوم الذى أظلم فيه القصر على من فيه؟ كان ذلك منذ ثلاث سنين غداة زيارة الكاهن الاعظم للملك .

الثانى – قد سمعت حديثا عجبا عن هذا الحادث .

الاول – ماذا سمعت؟

الثانى – يقولون إن الكاهن قد أطلع الملك فى ذلك اليوم على سر رهيب . لقد ذكر له أنه سينال الخلود .

الاول – الخلود ! ! !

الثانى – أجل . وذكر له أن حياته ستتجدد دائما ما بقيت دماء رعاياه ترطب أديم الارض فى كل مكان وحذره من النور فقال له ان النور سيجلب له الجنون .

الاول – من أخبرك بهذا . . ؟؟

الثانى – أخبرنيه خادمه الذى سمعه من الكاهن وهو يلقيه الى الملك .

الاول – ياله من سر . فهذه الحرب التى يشنها كل يوم وهذه الدماء تسيل فى كل مكان وهذه المدائن تذبل انوارها ويخيم عليها الظلام . . . ماذا تقول فيها . . ؟؟؟

الثانى – (ضاحكا فى سخرية) إنها رغبة الملك فى الخلود وخوفه من الجنون . . !

الاول – وهذا المجد للوطن يتحدثون عنه فى كل وقت ومكان . . .

الثانى – مجد . . . ماذا تضيف هذه المدائن المعتمة وهـذه الخرائب وهذه الدماء الى تراث الوطن ؟ لاشيء . . يا صاحبي لا شيء. إن ما يبقى للوطن وما يسطره له التاريخ هى الاعمال التى تـفيد الانسانية . . إنها ليست المدائن يسودها الظلام ولكن المدائن يشع منها النور.

الاول – ماذا أصابك ايها الزميل حتى ترفع صوتك بما لا ينبغى أن يرتـفع به ؟ إنك تجازف بحياتك .

الثانى – حياتى . . وهـل بقيت لحياتى قيمة؟ كان لى أربعـة أبناء فقدتهم جميعـا ولو أنى فقدتهم فيما يشرف لهان الخطب . . ولـكنى أتصور الآن أننى حرمت منهم لامد من حياة هذا المجنون أياما . . .

الاول – أهكذا تـتحدث عن مليكك؟

الثانى – لن أهتم بشيء بعد اليوم . لقد عرفت سرا عظيما ساحاول أن أفيد به بلادى والانسانية . إننى سانشد النور او أشعل شعلته . . إننى فكرت فى ذلك وانـتهى الامر . .

الاول – ما هذا الذى أزمعت؟

الثانى – إننى ساتركك يا صاحبى وقد لا نلتـقى الا حين يشرق النور الجديد على كل شيء .

الاول – أنت تعنى أنك ستهرب .

الثانى – أجل . . . والآن .

الاول – أرجو الا تكون مجنونا .

الثانى – إن المجنون هو من يفضل حياة الظلام على حياة النور لان النور قد ودع عقله . وداعا ايها الزميل . . الك رغبة فى الاشتراك معى سعيا الى النور؟

الاول – لا لا . . إننى أحرص على حياتى .

الثانى – اذن وداعا . (يخرج)



الاول — (يحدث نفسه) مسكين هذا الحارس . . . إنه ينشد النور
أو يريد أن يوقد شعلته . . . . .

(يبدو رئيس الحرس وقد استمع الى الكلمات الاخيرة)

رئيس الحرس — أيها الحارس لقد سمعتك تتحدث عن النور . . .
الحارس — (مذعورا) أيها الرئيس عفوا . .
رئيس الحرس — إن عقوبة من يتحدث عن النور الموت . ذلك أمر الملك . . .
أيها الحراس أقبضوا عليه حتى نقضى فيه بما يأمر القانون .
الحارس — أتوسل اليك سيدى لمن أترك اطفالى . . . . (يبكى)
رئيس الحرس — أيها الجنود هيا نفذوا الامر .
الحارس — (باكيا) الا ترفقت بحالى واطفالى . . . أيها الرفاق اليس مع
أحدكم مصباح فينيره علّه يرى على ضوئه مقدار المى
وبؤسى؟ . . . إنكم لا تجيبون . . إذن لا فائدة إننى طوع

أمركم فليس لنا أن ننشد الحق فى حلكة الظلام .
(يخرجون)

(يبقى رئيس الحرس وحده فى المكان)

النادى (صوت من الداخل) — جلالة الملك . . . جلالة الملك .

(يدخل الملك وهو لا يكاد يرى من فرط الظلام)

الملك — من أرى هناك ؟
رئيس الحرس — قائد حرسكم يا مولاى .
الملك — أريد قائد جيوشى ووزيرى فى الحال سريعا . . سريعا إذا تأخرت
كان جزاؤك الموت . . واذا مت فلا يجب أن يحزنك
موتك لانه لن يحزننى أن تموت رغم إخلاصك الشديد
لى . . لان موتك يعنى إمتداد حياتى أياما لانال الخلود
. . هيا . . لقد حدث بذلك الكاهن الذى لا تخطىء
حكمته . . هيا . أما زلت هنا ولما يحضرا بعد ؟ الويل
لك . . .

(يخرج رئيس الحرس مسرعا فى ذعر)

الملك — (يحدث نفسه) الخلود . . الخلود . الخلود . انى انشد الخلود
ان ذلك لم يتحقق لانسان ولكنى ساحققه لنفسى . .
لن أدع الدماء تجف من على سطح هذه الارض . . . . .

(يدخل رئيس الحرس)

رئيس الحرس — مولاى إن وزير جلالتك وقائد جيوشك ينتظران الاذن
بالمثول بين يدى جلالتك .
الملك — الخلود . . الخلود . . والجنون . . من هذا ؟

رئيس الحرس – أنا قائد حرس جلالتكم لقد أحضرت قائد الجيش ووزير جلالتكم . .

الملك – لقد تأخرت كثيرا .

رئيس الحرس – مولاى إننى لم أستغرق الا دقيقتين . .

الملك – (صاخبا) دقيقتين . . أنت لا تقدر معنى الزمن لانك مجنون . . اليس فى مقدور الانسان العاقل أن يسود العالم فى هاتين الدقيقتين أيها المجنون؟ تكلم ! اليس فى مقدوره؟ . . تكلم .

قائد الحرس – (خائفا) فى مقدور الانسان العاقل أن يفعل يا مولاى .

الملك – الى بقائد جيوشى اولا . . .

(يدخل القائد)

الملك – هل تستطيع أن تحدثنى ماذا نفذت من أوامرى .

القائد – مولاى لقد قدت جيوشك المظفرة دائما الى الامام . . وفى كل مكان سارت فيه كانت الدماء تسيل على الارض أنهارا .

الملك – (فى نشوة) كنت أحس فى بعض الأوقات أن شبابى يتجدد . . إنها هذه الاوقات .

القائد – واطفأت أنوار هذه المدائن التى أبت أن ترضخ لأرادتك . . فخيم عليها الظلام .

الملك – كذلك أحسست بالنور يملأ جوانب عقلى . .

القائد – مولاى لقد خلقنا لنفنى وتبقى أنت وستكون هذه رسالتنا فى الحياة دائما أبدا .

الملك – أنت قائد عظيم .

القائد – يكفينى ذلك فخرا .

الملك – أيها القائد أنت تعلم مقدار كراهيتى للنور . لقد رأيت الليلة من نافذة حجرتى شعاعا من النور ينبثق من الغرب .

القائد — مولاى إن النور لا ينبثق من الغرب أبدا .

الملك — أتعلم ذلك علم اليقين . . . . ؟ ؟

القائد — أجل يا مولاى فالنور الذى يرى من الغرب إنما يجنح الى الفناء . إنه يقضى على نفسه .

الملك — حسنا ما كان أجدرك أن تكون حكيما . إذن اتجه الى الشرق بجيوشك لتطفىء أنواره الى الابد . كم يكفيك من الوقت لتفعل ذلك؟ إن أعمال العقلاء تتم فى دقائق . . فى إستطاعتهم أن يطيروا فى الجو ويسبروا أغوار البحار ويقطعوا الفيافى والقفار ويستولوا على الممالك والمدائن ويسودوا الشعوب فى دقائق قليلة . .أليس كذلك يفعل العقلاء ؟

القائد — إنهم يفعلون يا مولاى .

الملك — لقد آمنت الآن أنك تستمد تفكيرك من عقلى . . ما كان أجدرك بالخلود ؟ ؟ — الآن هيا لتنشر الظلام على الشرق أيضا فى الوقت المعلوم وابعث الى وزيرى . . .

(يخرج القائد ويدخل الوزير)

الملك — أيها الوزير . . .

الوزير — السمع والطاعة يا مولاى .

الملك — كيف حال الشعب ؟

الوزير — إنه يدين بالطاعة لمولاى .

الملك — اما زال يؤمن بحكمة كاهنه العظيم . . بأنه من الواجب عليه أن يفنى ليخلق من فنائه الانسان المتفوق الجدير بالخلود والتقديس ؟

الوزير — إنه يؤمن بها يا مولاى ما بقيت الأنوار بعيدة عن عينيه .

الملك – فيجب أن تحرص على الا يتسرب النور الى أى مكان .
الوزير – إننى أفعل يا مولاى . . . ولكن . .
الملك – ماذا . . . ؟
الوزير – إنه حادث خطير يا مولاى .
الملك – ماذا حدث الويل لك؟
الوزير – لقد أنبأتنى العيون أن رجلا خرج من قصركم اليوم يحمل مصباحا منيرا .
الملك – من قصرى أنا وكيف لم يقبضوا عليه . . ؟
الوزير – كانت عليه ثياب حرس جلالتكم لذلك لم يتعرضوا له بسوء كسابق أمركم يامولاى .
الملك – أمتأكد أنت من ذلك؟
الوزير – كل التأكد يا مولاى .
الملك – إن قصرى مظلم كما ترى أيمكن أن يتولد النور من الظلام . . ؟
الوزير – إنهم يقولون إن ذلك ما يحدث بالفعل يا مولاى .
الملك – إذا كان الامر كذلك فالويل لقائد الحرس . . . أيوجد ثمة خطر كبير فى ذلك . . ؟ ؟
الوزير – مولاى لقد أقتضانا إطفاء الأنوار أعواما طوالا وإذا كان الاظلام يحتاج الى جهود كبيرة وسنين طويلة فانه يكفى لانبثاق النور فى كل مكان أن يشرق الكوكب الصغير فى الدقيقة الواحدة .
الملك – كيف لم تقتلوه . . . كيف لم تقتلوه . . . الويل لك من عذابى .

(يدخل رئيس الحرس)

رئيس الحرس – فخامة الوزير . هذا التقرير سلمه لنا رئيس الشرطة وطلب تقديمه فى الحال . (يسلمه ويخرج)
الملك – ماذا يقول هذا المجنون ؟



الوزير — ماهذا ؟ . . إنه يقول إن الناس التفوا حول الرجل الذى خرج من القصر وهم يسيرون وفى عقولهم مصابيح . . .

الملك — ماذا يعنى هذا المجنون ؟

الوزير — لا شك أنه يقصد فى أيديهم مصابيح يا مولاى — (قارئا) وهم يسيرون صوب قصر الملك ولم أتمكن من منعهم لان رجال الشرطة قد أنضموا اليهم . .

الملك — ماذا يبغون . . . ؟ ؟

الوزير — ماذا يبغون ؟ سننظر فى ذلك .

الملك — ستنظر فى ذلك أيها المجنون ومتى ؟ الى ان يدخلوا بالنور الى هذا المكان . لا يجب أن يقربوه . . . لايجب . . إن عقلى لا يقدر بثمن . .

الوزير — إن الامل ينعقد على الجيش . . .

الملك — الجيش . . آه . . لقد بعثته الى الشرق . . الم يعد . . ؟

الوزير — إن القائد لم يخرج الا منذ لحظة صغيرة . . خمس دقائق فقط يا مولاى . .

الملك — انت مجنون ! إن خمس دقائق تكفى للسيطرة على العالم . . .

(يعود قائد الحرس ومعه كتاب آخر)

قائد الحرس — وهذا الكتاب وصل الآن من قائد جيوشكم يا مولاى . . . (يسلمه ويخرج)

الملك — إقرا أيها الوزير لا شك أنه فى طريقه الينا بعد ظفر . . ألم أخبرك أن خمس دقائق تكفى للسيطرة على العالم؟ . . إنه سيطفىء النور قبل أن يؤذى عقلى .

الوزير — ياللهول . . .

الملك — ماذا؟ إقرأ فى سرعة ولا تتكلم . .

الوزير — (يقرأ) سيصل كتابى الى مولاى عند ما أكون قد ودعت الحياة . . .

الملك — ودع الحياة . . إنها نكبة . . . اقرأ اقرأ .

الوزير — (يتابع القراءة) مولاى لقد قابلت فى طريقى حكيما شرقيا وقد اصطفيته لاننى أحب الحكماء وحدثته عن أمر جلالتكم لى باطفاء أنوار الشرق . . . . فقال لى هيهات أيها القائد فإن النور أقوى ما ينبعث إنما ينبعث من الشرق فانت تنشد المحال . . . وحدثته عن النور الضعيف الذى رأيته جلالتكم ينبثق من الغرب فقد عنّ لى أن أتجه اليه فقال إن الشمس اذا وهن نورها تجنح الى الغروب لتقتل ضعفها فتعود فى اليوم التالى قوية فى الشروق فهى تستمد قوتها من الغروب أيضا وكذلك النور . . وقال لى عن الوقت حديثا عجبا . لقد كنا نؤمن نحن العقلاء أن فى استطاعتنا

أن نطفئ أنوار العالم فى دقائق وأن نسيطر على الخلائق
جميعها فى دقائق . . . فقال لى إن هذا إيمان المجانين . .
أردت أن أقتله . . . ولكن نوره سرى فى عقلى فعلمت
أن ما قالـه حق ففضلت أن أقتل نفسى على الا أعود
الى مولاى ومعى هذا النور . . .
الملك — كفى . . كفى . إنه مجنون. قتله النور .

(يدخل قائد الحرس)

قائد الحرس — مولاى الانوار تملأ ساحة القصر والناس يتدافعون الى
مكان جلالتكم . . . لقد بهر النور أعين الحرس فانضموا
اليهم يا مولاى .
الوزير — وهل توجد فى أيديهم أسلحة؟
قائد الحرس — كلا يا مولاى . . ليس فى أيديهم الا مصابيحهم . .
الوزير — لا تخش شيئا يا مولاى . .
الملك — أيها التعس إن النور أمضى سلاح لمن أعتاد الظلام . . .

(يتدافع الناس الى مكان الملك وامامهم الحارس الذى هرب من القصر
يدورون حول الملك)

الملك — أيها التعساء إطفئوا هذه المصابيح . . إن نورها يجذب النور من
عقلى . . هل فى نيتكم أن تدعوا عقلى فى ظلام؟ أيها
التعساء ما لكم تدورون حولى؟ آه انكم تعبدونى —
انكم تعبدونى . . انا الانسان المتفوق . . . انا خلقتكم
يا عبادى (يضحك فى جنون) أنا خلقتكم أيها
المجانين . . ما لكم لا تنطقون أى عبادى المجانين؟ . .
من الواجب أن تموتوا ليخلد خالقكم . موتوا فقد قضيت
عليكم بالموت (يضحك فى جنون) قضيت عليكم بالموت .

الوزير – هيا أيها القوم فقد جن الملك .

(يخرج الناس وقد اطمأنوا الى جنون الملك)

الملك – ما لكم تتروكونى أى عبادى وحيدا هنا . . اذهبوا اذن الى الجحيم . أيها الوزير ارشدهم عن الطريق اليه .

(يبقى الملك وحيدا يضحك فى جنون فيدخل الكاهن)

الملك – أى كاهنى الاعظم ألديك نبوءة أخرى ؟
الكاهن – إله . . . حمار . . . بطاطس . . . سمك .
الملك – أيها الكاهن لقد جئت لتباركنى اليس كذلك . . ؟ ؟
الكاهن – (ينصرف عنه ويهذى) حمار . . اله . . بطاطس . . سمك .
الملك – الا تعرفنى ؟ أنا الانسان المتفوق .
الكاهن – أين حمارى ؟ أين انسانى المتفوق ؟ . . (يضحك فى جنون)
الملك – أنا الاله أيها الكاهن . لقد كان عبادى هنا منذ لحظة . أنا الاله . . أنا الاله .
الكاهن – أنت الاله . . ! !
الملك – أجل لقد خرج عبادى منذ لحظة .
الكاهن – (يضحك) إله . . . إننى عدو الآلهة . . . أنا قاتل الآلهة . لا بد من موتك . . لو بقيت انسانا لابقيت عليك .

(يخرج من عباءته خنجرا ليطعن به الملك)

الملك – رحماك أيها الكاهن .
الكاهن – مت . . مت . (يطعنه)
الملك – (يصيح) آه لقد قتلتنى .
الكاهن – حمار . . إله . . بطاطس . . سمك .

ختام

(اذيع فى ١٣ يناير ١٩٤٣ من محطة لندن العربية)

تاريخ الصين ومدنيتها

بقلم الدكتور ليونيل جايلز

يحوط باصل الشعب الصينى كثير من الاقاصيص والغموض ولكن يبدو ان اجدادهم قد استقروا فى حوض النهر الاصفر من نحو اربعة آلاف عام او اكثر. وقد قيل انهم ربما كانوا قد هاجروا الى تلك المنطقة من جهة اخرى فى اواسط او غرب آسيا ولكن لم يقم دليل كاف على صحة هذا الرأى. وكانوا عند اول ظهورهم فى التاريخ يشتغلون بالزراعة وتوافرت الروايات بعد ذلك عن كيفية تطورهم حتى الموا بكثير من العلوم والفنون من بينها صناعة الخزف واستعمال الاعشاب لمداواة المرضى وبعض المعلومات الخاصة بالفلك، ثم تقدموا بعد ذلك فظهرت بينهم صناعة الاوانى البرنزية وتدوين الكلام بالكتابة وكان هذا الفن قد تطور تطورا مهما قبل القرنين السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد كما يظهر من الخطوط التى توجد على الادوات البرنزية الجميلة من مخلفات هذين العصرين، ومما اكتشف اخيرا من آلاف العظام وبقايا اصداف السلحفاة التى حفرت عليها اسئلة للتكهن. وكان ذلك فى عهد اسرة شانج التى كانت تحكم مساحة من الارض لا تعرف حدودها بالضبط ولكن يبدو انها لم تكن متسعة الارجاء كثيرا. وكانت عاصمتها فى جوار مدينة كايفينج الحديثة. وقد حفظت اسماء بعض ملوك هذه الاسرة فى آثار العظام السالفة الذكر.

وحدث فى تاريخ يستحيل تحديده على وجه الدقة وان كان يدور حوالى نهاية القرن الثانى عشر قبل المسيح ان تحدت مقاطعة تشو الغربية التى بدأت حينئذ فى القوة والاتساع نفوذ هذه الاسرة وسلطتها واخيرا



صورة كونفسيوس على حجر للامير كوشويكو الصينى.

تمكنت من التغلب عليها . وكان هؤلاء الحكام الجدد من نوع آخر يختلف عن الشعوب التى اخضعوها فقد كانوا اقل ثقافة وبذلك مرت قرون عديدة قبل ان عادت الآداب والفنون الى الازدهار من جديد . وقد كان هناك نوع من النظام الاقطاعى قبل دخول هؤلاء الفاتحين الجدد فحل محله نوع آخر اكثر تنظيما فوضعت طبقات جديدة للنبلاء وقسمت البلاد الى مئات من الولايات والمقاطعات يتفاوت حجمها ولكن تشملها جميعا رابطة الولاء والتبعية للملك الذى كانت له ولايته الخاصة ايضا . وقد نجح هذا النظام اولا واطرد تقدم البلاد فى ظله وكان ذلك بفضل الدوق تشاو شقيق اول ملوك هذه الاسرة ونفوذه الناقع المفيد . ولكن الحكام الذين تبعوه كانوا اقل منه بكثير فتورطوا فى التبذير واسرفوا فى الاستمتاع وبدأ حكام المقاطعات يختلفون فيما بينهم ويثورون على ملوكهم كما زادت المتاعب والمشاكل بفعل القبائل المتوحشة التى كانت تعيش على الحدود . ووصلت الامور الى نهايتها فى عام ٨٤٢ قبل الميلاد حينما نشبت الثورة ضد الحكومة الظالمة وعزل الملك الحاكم اذذاك . ثم تلت ذلك فترة قصيرة عاد بعدها آخر ملوك تشاو العظام فحكم بثبات وحزم لمدة تبلغ ٤٥ عاما تلتها فترة انتشرت فيها اللامركزية وزاد نفوذ حكام المقاطعات ثم بدأ عدد الولايات المنفردة يقل بسبب غارة القوى على الضعيف منها وغزو البلاد الصغيرة وضمها الى الكبيرة . ويعطينا كتاب تاريخ مبنى على الوثائق المعاصرة صورة صادقة لما سمى بفترة «الربيع والخريف» وهى الفترة من عام ٧٢٢ الى حين وفاة كونفوسيوس فى عام ٤٧٩ حينما تتابع عدة حكام اقوياء من ولاة المقاطعات اغتصبوا قوة



بوابة الدخول الاولى لمعبد كونفسيوس بشانغهاى .

السلطة المركزية وكان من اخص هؤلاء الحكام الديكتاتوريون الخمسة وهم اصحاب ولايات تشى وسونج وتشين وتشيو وتشو .

وكان كونفوسيوس نفسه وهو من اهالى ولاية لو فى مقاطعة شانتونج الحالية مربيا ومعلما للفلسفة والاخلاق ولم يظهر له اثر مطلقا فى ميادين السياسة كما لم يتكلم عن الموضوعات الدينية ابدا ولكنه يبدو انه سلم بغير جدل بما كان شائعا فى وقته من عبادة الارواح وعلى الاخص ارواح الاجداد وهى عبادة لا تزال شائعة حتى اليوم . كما شاطر اعتقاد الجميع فى الوهية «السماء» وهو قريب من معنى الاله . وكان النظام الكهنوتى السائد فى الصين هو وليد العادة المتبعة فى عبادة ارواح الاجداد وذلك الذى ادى بدوره الى تبجيل الابوة كاساس لكل الفضائل . ولم تجد تعاليم كونفوسيوس السمحة الا قليلا من القبول والنجاح عند الامراء الطامعين الذين لم يكن يهمهم سوى تعظيم انفسهم . ولم يبدأ تأثير كونفوسيوس فى الظهور الا بعد زوال النظام الاقطاعى السائد فى وقته .

وتعاقب الملوك من اسرة تشاو لنحو ٢٠٠ عام بعد كونفوسيوس من

غيران يلفتوا الانظار بينما كان مصير الامبراطورية محل منافسة ونضال بين بعض رؤساء القبائل الاقوياء . فقد بدأت العمليات الحربية تعظم ونسمع بلا انقطاع عن افناء جيوش كبيرة يتلوه اعدام جماهير بالجملة . وكان من العجيب ان يعيش اكثر مفكرى الصين المبتكرين المتعمقين وان يضعوا كتبهم فى هذه الفترة العاصفة التى شاعت فيها روح قوية من البحث والتساؤل وظهر مذهب كونفوسيوس بين جملة من مذاهب متضاربة ونظريات جديدة فى الحكم والسياسة كان لاحداها حظ النجاح الباهر بعد ذلك بقليل كما كتب لاخرى معروفة بنظرية تاو ان تؤثر على مجرى حياة الصين وتفكيرها فيما بعد تأثيرا ليس بالهين .

ولم يحل القرن الثالث قبل الميلاد حتى اصبح من الواضح ان آخر بقايا النظام الاقطاعى الذى فرضه الغزاة من عائلة تشاو قد قدر له الفناء ولم يبق للحل الا مسئلة اية مقاطعة من المقاطعات الباقية سوف تسيطر على الجميع . وكانت اقوى هذه المقاطعات هى مقاطعة تشين الغربية

بوابة بحائط مدينة لانشاو بمقاطعة كانسو .





كو- ذي- كين الجامعة الوطنية ببيكينج .

والتى كانت فى حالة شبه وحشية . فاتفقت كلمة ست بمقاطعات اخرى على
تأليف اتحاد لصدها ومقاومتها ولكن خاب هذا الاتحاد واستطاعت ولاية
تشين ان تثير المنافسة والخصومة فيما بين باقى الولايات حتى حل بهم

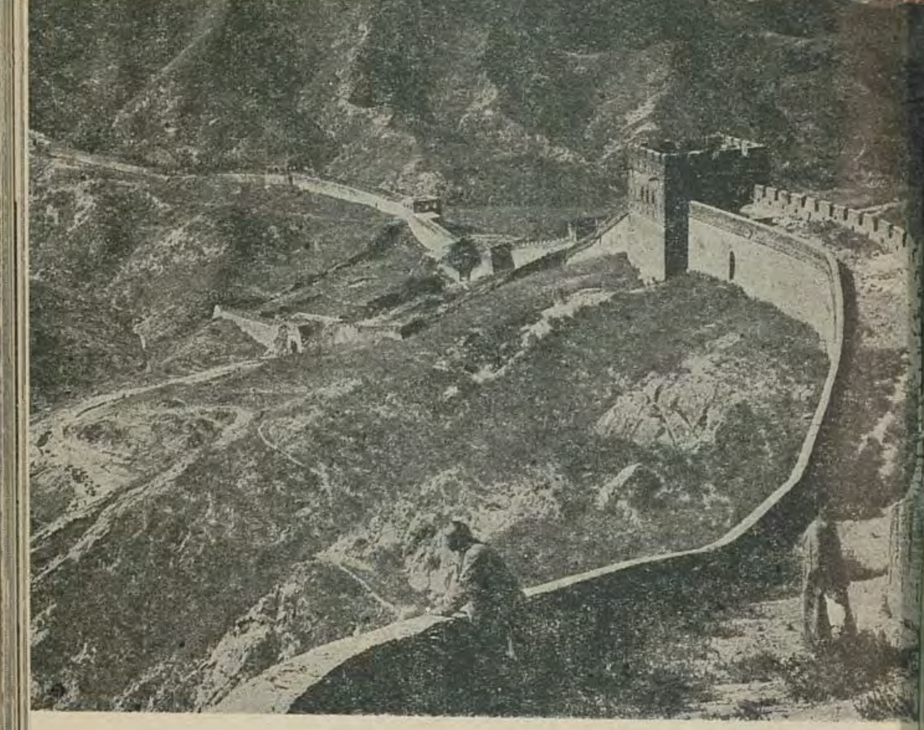
التعب جميعا فتغلبت عليهم الواحدة بعد الاخرى . وفى عام ٢٤٦ قبل المسيح بعد ضم اراضى تشاو بقليل تولى حكم تشين غلام فى الثالثة عشرة من عمره وبعد خمسة وعشرين عاما من حكمه استطاع ان ينادى بنفسه اول امبراطور للصين المتحدة. وكان حكمه مبنيا على مبادىء قريبة الشبه بمبادىء النازى اليوم فكان قاسيا مستبدا كما كان عدوا لدودا لمذهب كونفوسيوس وتلاميذه . ويمكن تلخيص سياسته فيما يلى : (١) محاربة النظام الاقطاعى بتقسيم البلاد الى مديريات ونواح وضعت كلها تحت امر حكام مدنيين وعسكريين مسئولين امامه مباشرة . (٢) ولما شعر بضرورة اسكات الناقدين الذين يتمسكون بتعاليم الماضى قرر ان تجمع كل المؤلفات الموجودة وان تحرق جميعها الا ما تعلق بالزراعة والطب والتكهن . (٣) ولابعاد خطر قبائل هسيونج نو او الهون المنتشرة على الحدود الشمالية ربط جميع القواعد والاستحكامات الموجودة وكون منها «الحائط العظيم» الذى بلغ طوله ١٥٠٠ ميل وامتد من شمال كانسو الى خليج لياتسونج واستخدم فى بنائه مئات الالوف من المجرمين والمعتقلين السياسيين . (٤) ووحد بين طرق الوزن والمقاييس ووضع طريقة مبسطة للكتابة عممها فى جميع انحاء الامبراطورية . ومع ان كثيرا من اصلاحات هذا الحاكم كانت مفيدة الا ان قسوته فى تنفيذها اكسبته سخطا عاما وكانت وفاته فى عام ٢١٠ بداية اضطراب ونزاع انتهى الى حرب حادة بين احد قواد مقاطعة تشو الجنوبية والزعيم الفلاح لين بانج الذى هزم عدوه وانشأ اسرة هان .

وقد استمر حكم اسرة هان هذه نحو ٤٠٠ عام متصلة تخللتها فترة قصيرة تولى الملك فيها بعض الثائرين . ويمكن القول بانه قد وضع فى خلال هذه الاسرة اسس كيان الصين الاجتماعى والسياسى لمدة طويلة . والواقع ان بعض خصائص النظام الاقطاعى ادخلت الى نظام الحكم ثانية ولكن لم يحل الضعف فى الحكومة المركزية بشكل مستمر كما حدث اثناء حكم اسرة تشاو . وانتعشت العلوم من جديد واتخذ مذهب كونفوسيوس

كمذهب رسمى للدولة . وكان من اثر ذلك ان تولد عند الطبقة الحاكمة
احساس دقيق بالمسئولية وساد الشعب جميعه شعور بالاستقلال. ويمكن
القول بان الصين الحقيقية التى تمثلها القرية الصينية كانت دائما تتجه الى
الاستقلال المحلى حتى فى اشد عهود الملكية المطلقة تعسفا . وقد تحطم
نفوذ هسيونج نو اثناء حكم الامبراطور وو وهو حكم طويل ملىء بالحوادث
واتسعت حدود الامبراطورية فى كل مكان . وقد امتازت اسرة هان الاخيرة
التى بدأ حكمها فى عام ٢٥ بعد الميلاد بغزوات الجنرال بان تشاو
الذى قاد جيشا الى خراسان وارسل مندوبا عنه الى روما ولكنه ارتد
عائدا بعد ما ادرك الخليج الفارسى . وكانت قبائل هسيونج نو الشمالية
تتوالى عليها اثناء ذلك الهزائم الساحقة ولم يعد يسمع عنها بعد ذلك
شىء فى تاريخ الشرق الاقصى وان كان البعض يعتقد ان القبائل المتوحشة
التى غزت اوروبا بقيادة اتيلا ترجع فى اصلها الى هذا العنصر . وكان
مما عجل من نهاية هذه الاسرة عهد الفساد الطويل الذى ساد البلاد

رحلة اول قطار سكة حديد بالصين فى شانغهاى سنة ١٨٧٦ .
افتتاح خط سكة حديد ووسونج .





حائط الصين العظيم .

واشتد الاضطراب بقيام احد المنتسبين الى نظرية تاو الذى ادعى لنفسه قوة سحرية . واتخذ الثوار العمامة الصفراء شعارا لهم .

وبذلك سقطت الصين فى شبه حالة فوضى كاملة تتخللها حروب واضطرابات وانقسمت البلاد الى ثلاث دول كبيرة اشتهرت بما عرف عنها من الاقاصيص والروايات . وكان من آثار نزاعها واختلافها على السلطة والسيادة ان مهد الطريق لانقسامات اخرى تدفقت بعدها القبائل الوحشية من الشمال الغربى وقامت وسقطت فى مدة تقل عن قرن ونصف نحو ست عشرة دولة . وكان تاريخ هذه الفترة متشعبا بدرجة لا يمكن حصرها ولو بصورة عامة فى هذه العجالة حتى ساد الحالة شىء من الثبات والاستقرار حينما قام الترتر من قبيلة توبا واسسوا حكمهم فى الشمال بينما تعاقب عدد من الاسر الصينية فى الجنوب. وكانت اوروبا فى ذلك الوقت



كشك بيع الكتب بشارع فى شانغهاى .

في بداية عهدها المظلم ولكن المدنية الصينية لم تصب بمثل النكسة القاضية التى اصيب بها الغرب وكان من الاسباب الرئيسية التى حفظت شعلة العلم والمدنية فى الصين انتشار البوذية وهى مذهب فلسفى ادخله المبشرون الهندو الى الصين اولا ثم قوى وانتشر بفعل سيل من الحجاج الصينيين الذين قصدوا البحث عن الكتب المقدسة فى ارضها الاصلية كما كان انتشار استعمال الورق من الاسباب التى ساعدت على سلامة المدنية . وكان اختراعه حوالى سنة ١٠٠ بعد الميلاد فساعد على تيسير التعليم وتسهيله بالقياس الى ما كان عليه الحال فى اوروبا التى لم تكن عرفت الورق الا بعد ذلك بنحو الف عام تقريبا . فساعد وجود الورق على انتشار الشعر والتصوير فضلا عن النسخ المخطوطة فارتفع مستوى هذه الفنون جميعا فى خلال القرنين الرابع والخامس ووصل فن النحت الى القمة فيما انتجه الفنان المشهور باسم لونج مين .

وكثيرا ما قيل عن الصين انها اشبه ببحر واسع ينشر الملح فى كل ما

يدخله من السيول وقد امكن للصين بفضل ذلك ان تمتص جميع العناصر الاجنبية فتدمجها فى سكانها واستطاعت توحيد البلاد كلها قبل نهاية القرن السادس فى عهد اسرة سيو التى سوف يظل اسم ثانى اباطرتها معروفا للمجموعة العظيمة من الترع والقناوات التى انشأها وان كان اسرافه قد اثقل الاهالى ونشأ عن ذلك ثورة انتهت بقيام اسرة تانج المعروفة فى سنة ٦١٨ . وكان بطل هذه الحركة لى شيه مين الذى عرف بلقبه الذى منح له بعد وفاته وهو تاى تسونج . وهو يعد فى مقدمة القواد والسياسيين وكانت اصلاحاته الداخلية مما ساعد على انتشار التعليم والتربية كما كانت سياسته الخارجية سببا فى بناء امبراطورية تمتد من المحيط الهادئ الى بحيرة خوارزم (بحر آرال) . ومن بين الحكام الذين اشتهروا فى ذلك العهد ايضا الامبراطورة وو التى حكمت نحو نصف قرن وهسوان تسونج الذى ازدحم بلاطه بنوابغ المصورين والشعراء . وكان الصينيون فى ذلك العهد يفوقون كثيرا كل شعوب العالم فى المدنية والحضارة . ولكن حدث فى مثل مفاجأة الصاعقة ان قامت ثورة يقودها احد الاشخاص المقربين من الامبراطور وهو من اصل تترى فاصابت هذه الثورة اسرة تانج فى صميمها . وقد اخمدت بعد ان فقدت بسببها حياة الملايين وساد الخراب ولكن لم يعقبها السلم مع استمرار حكم هذه الاسرة بعد ذلك نحو ١٥٠ عاما كانت كلها اعوام قتال وحرب فخرب اهالى التبت العاصمة تشانج آن وثارت القبائل التى تعيش على الحدود كما افسد الحكام الخائنون قوة البلاد وعبثوا بها فقامت ثورة اخرى كبيرة كان من اثرها وان اخمدت فى النهاية ان قضى على الاسرة الحاكمة فى سنة ٩٠٦ . وكان مما عرف عن هذه الاسرة فوق عنايتها بالفنون الجميلة اختراع الطباعة التى باشرها البوذيون اولا بقصد نشر كتبهم ثم كملها احد الاهالى بعد ذلك بنحو قرنين . كما نظمت اسرة تانج الامتحانات والمسابقات لمن يريد الالتحاق بخدمة الحكومة ومن المعروف ان المرشحين كانوا يقصدون العاصمة لهذا الغرض .

وتلا ذلك عهد انقسام آخر ترتب عليه قيام دويلات عديدة وتعاقب على حكم البلاد فى الخمسين سنة التالية خمس اسر قصيرة العهد . ولم تستطع اية واحدة منها ان تحكم اكثر من جزء صغير من البلاد وكان ذلك فى وقت اخذ فيه عدو جديد يتجمع فى الشمال . وحدث عندما استقرت اسرة سونج فى الحكم ان احدى قبائل الطونغوز المعروفة باسم الختاى كانت قد توصلت فعلا الى احتلال جانب من الاراضى الصينية جنوب الحائط العظيم استحال طردهم منه وكان كل ما استطاع الصينيون عمله فى خلال القرن الحادى عشر ان يتحصنوا فى عاصمتهم بالقرب من الشاطئ الجنوبى للنهر الاصفر حتى سنحت لهم بعد ذلك فرصة لمحالفة فرع آخر من التتار عرف باسم نو تشين (او تشين) وكان بينهم وبين الختاى اسباب النزاع والعدوان . على انه كان من سوء الحظ ان ادى نجاحهم الى الاصطدام مع الصينيين انفسهم فاضطر هؤلاء الى الانسحاب جنوبا وتشييد عاصمة جديدة لهم فى الجنوب الاقصى اى فى مدينة هانج تشاو ثم اضطروا بعد ذلك الى عقد صلح مهين كان من نتائجه ان تخلوا عما يزيد على ما كان احتله الختاى من الاراضى وذلك فوق تعهدهم بدفع جزية سنوية . ورغم كل هذه العقبات فقد احتفظت الثقافة فى عهد سونج بمستواها الرفيع . ومع انها لم تكن فى مثل مستوى الفن والشعر فى عهد اسرة تانج الا انها اصابت نجاحا عظيما فى التاريخ والفلسفة كما ان الفنون السياسية تقدمت فى عهدها وتحقق فعلا اصلاح سياسى كبير اذ وافق الامبراطور فى عام ١٠٦٩ على بعض اصلاحات اشتراكية النزعة ادخلها مستشار الدولة وانج آن شيه الا ان العناصر الرجعية اثبتت قوة نفوذها بعد ذلك فقضى على هذه الاصلاحات اثناء حياته .

وكان المغول فى خلال القرن الثالث عشر دائمى الاغارة على القارة الاسيوية . وكان الصينيون يعدونهم فى البداية ممن يمكن محالفتهم ضد التشين متغافلين بذلك عن الدرس الذى تلقوه فى حروبهم السابقة ضد الختاى . وكانت النكبة فى هذه المرة اعظم واكبر اذ ان قوبلاى حفيد

(فى الاعلى) جامعة ينشينج .
(فى الاسفل) معمل كيمائى بنانكاى .



صورة لامبراطورة الصين السابقة .

جنكيز خان استطاع ان يفتح ليس الجزء الشمالى من الصين الذى كان احتله التشين فقط بل كذلك املاك اسرة سونج فى الجنوب . وبذلك خضعت الصين كلها للمرة الاولى فى تاريخها للتصرف الاجنبى . ولقد ترك الرحالة ماركو بولو من اهالى البندقية صورة رائعة وان كانت متحيزة عما شاهده فى امبراطورية قوبلاى العظيمة وقد يبدو انه اغفل ان كل ما بناه المغول انما بنوه على الاساس المتين الذى قد وضعه الصينيون من قبل . ولقد كان عدد المغول قليلا جدا بالنسبة للصينيين بلا شك كما كانت الادارة الحقيقية غالبا فى يد الصينيين انفسهم وفى هذا ما يفسر الحقيقة الثابتة من ان عهد اسرة يوان كما كانت تسمى بالصينية قد انقرض فى مثل عمر الانسان وانها لم تقوعلى المقاومة بمجرد ظهور قائد حازم مثل تشو يوان تشانج . وتولى الامر بعدها اسرة جديدة اتخذت لنفسها لقب مينج (ومعناها اللامعة) فقوبلت من الشعب باجمعه بالترحيب وان بقيت المقاطعات الغربية منعزلة لدرجة ما .

ولقد عمد الحكام من اسرة مينج منذ البداية الى عدم تشجيع الاتصال بالعالم الخارجى اذ لا شك ان هذه الحروب التى قطعت قرونا طويلة كلها قتال ضد المغيرين قد جعلتهم يعتقدون انه قد يكون من الاصلح الابتعاد الكلى عن الاجانب، وبذلك لم يعد يعرف الاورربيون شيئا عما كان يحدث فى الشرق الاقصى خلال هذه الفترة التى بلغت ٢٠٠ عام حتى بدأ ظهور اليسوعيين فى الميدان . وقد حاول المغول مرارا ان يستعيدوا امبراطوريتهم المفقودة ولم تقتصر النتيجة على انهم لم ينجحوا وانما احتلت بلادهم نفسها فى عهد تشنج تسو (المعروف بلقب يونج لو) وان كان هذا الاحتلال لم يدم طويلا . وكان هذا الامبراطور الصينى هو الذى نقل عاصمة ملكه الى بيكينج وقد غزا بلاد آنام كما ارسل عدة بعثات استكشافية عن طريق البحر لسيلان وغيرها من بلاد المحيط الهندى . وقد اشتهر عهد اسرة مينج بصناعة الخزف والبرنز والاثاث كما وضع بامر يونج لو قاموس للآداب عظيم الحجم .

واطرف ما فى عهده تقدم الدراما والقصة وكلاهما مقتبس من المغول . ولا شك ان اضمحلال هذه الاسرة التدريجى انما كان مرجعه الى حد كبير الى ضعف اباطرتها الاخيرين الاخلاقى ونفوذ البطانة الذى كان له اثر سئ . وكانت الشواطىء معرضة لغزوات القرصان اليابانيين كما تعددت الحروب فى كوريا . واستمرت الحال على ذلك حتى بدأت الصين تتصل بالغرب فى عام ١٥١٦ حينما وصلت سفينة برتغالية الى كانتون واسست المؤسسات التجارية واصبحت مكاو قاعدة مملوكة للبرتغاليين ثم ضم الاسبان بعد ذلك جزائر الفيليبين واحتل الهولنديون بعدهم جزائر بيسكادوريس وجزءا من فورموزا . وكان عمل المبشرين اليسوعيين المتقدمين من امثال ريتشى وغيره مختلفا عن عمل هؤلاء، وكان نجاحهم لا يرجع الى حماسهم ومثابرتهم على خدمة الانسانية فقط وانما كان يرجع ايضا الى اساليبهم العلمية فى الدرس والبحث .

ولكن مستقبل الصين اصبح عرضة للاحتمالات مرة اخرى وذلك لان المنشو تحت قيادة زعيمهم الحاذق نورهاتشو بدأوا يضعون ايديهم على الحدود الشمالية الشرقية . ثم استفادوا من ثورة داخلية فرقت بين خصومهم فهاجموا بيكينج واخضعوا الصين كلها بعد مقاومة شديدة من الصينيين . وتلا ذلك عهد طويل من الرخاء والهدوء لم تنعم الصين بمثله فى تاريخها من قبل وذلك بفضل حكمة وفطنة امبراطورين عظيمين هما كانج هسى وحفيده تشين لونج اللذان دام حكم كل منهما نحو ٦٠ عاما واستطاعا بتسامحهما وعدالتهما وتشجيعهما للصناعات المحلية وتفادى الضرائب الثقيلة وبتقليدهما قبل كل شىء للعادات والسنن الصينية ان يكسبا احترام وولاء الرعايا الصينيين بدرجة لم يصل اليها المغول مطلقا . وقد كانا فوق ذلك من رجال العلم والثقافة وتم كثير من المشروعات الادبية بفضل رعايتهما وعنايتهما الشخصية .

قد زاد عدد سكان الصين ثلاثة امثاله خلال القرن الثامن عشر وبينما كانت اوروبا فريسة لحروب نابليون كان كل شىء يبدو على اتمه فى الشرق

الاقصى ولكن الثورات والحروب لم تلبث ان توالت ووقعت للصين للمرة الاولى معارك مسلحة مع شعوب الغرب . وكانت اولى المنازعات مع البريطانيين الذين تظلموا من القيود التى فرضت على التجارة وارسلوا سفارتين خاصتين لهذه المسألة كان نصيبها الفشل . ولا شك ان الحكومة الصينية كانت عنيدة وقصيرة النظر . وكانت نتيجة هذه الحرب تنازل الصينيين عن هونج كونج وفتح موانى الصين وقيامها بدفع تعويض كبير . ثم تلا ذلك حرب اخرى اشتركت فيها بريطانيا وفرنسا وادت الى احتلال بيكينج . ثم قامت بعد ذلك ثورة تاى بينج التى اشعلها بعض من اعتنق المسيحية وكانت موجهة ضد الاسرة الحاكمة فاخمدت بمساعدة اجنبية بعد ان خربت تسع مقاطعات وقضى على الملايين من الابرياء ووافق ذلك بداية عهد الامبراطورة تسو هسى الذى عرف بالفوضى والاستغلال ثم وقعت حرب مفجعة مع اليابان اعقبتها حركة «الملاكمين» التى انتهت بهجوم عام على الاجانب وحصار مفوضياتهم فى بيكينج فاعيد توقيع الجزاءات الصارمة ولم يستمر حكم المانشو بعد ذلك الا سنين قلائل اعلنت بعدها الجمهورية الصينية فى سنة ١٩١٢ وانتخب الدكتور سون يات سن اول رئيس لها . ومن ذلك الوقت اصبحت اليابان الد اعداء الصين فانتهزت فرصة الحرب الكبرى الماضية وتقدمت بعدة طلبات مهينة ثم بادرت الى احتلال منشوريا كلها بمجرد ان بدأ الجنرال تشانج كاى شك عمله فى توحيد العناصر المتنازعة تحت قيادة حكومته فى نانكينج . ثم ما لبثت بعد ان ازعجها تقدم الصين السريع وعلى الاخص بعد ان سوى الخلاف مع الشيوعيين ان غزت البلاد فى عام ١٩٣٧ وعمدت الى ارهاق الاهالى المدنيين بقذفهم بالقنابل بغير رحمة . ومع ذلك فان الصينيين ما زالوا يقاتلون ببطولة حتى فى عام ١٩٤٣ من عاصمتهم الجديدة بشونكينج الواقعة فى اعالى نهر يانجتسى وهم على ثقة عظيمة بالنصر النهائى بعد ان حالفتهم ديموقراطيات العالم الكبرى .

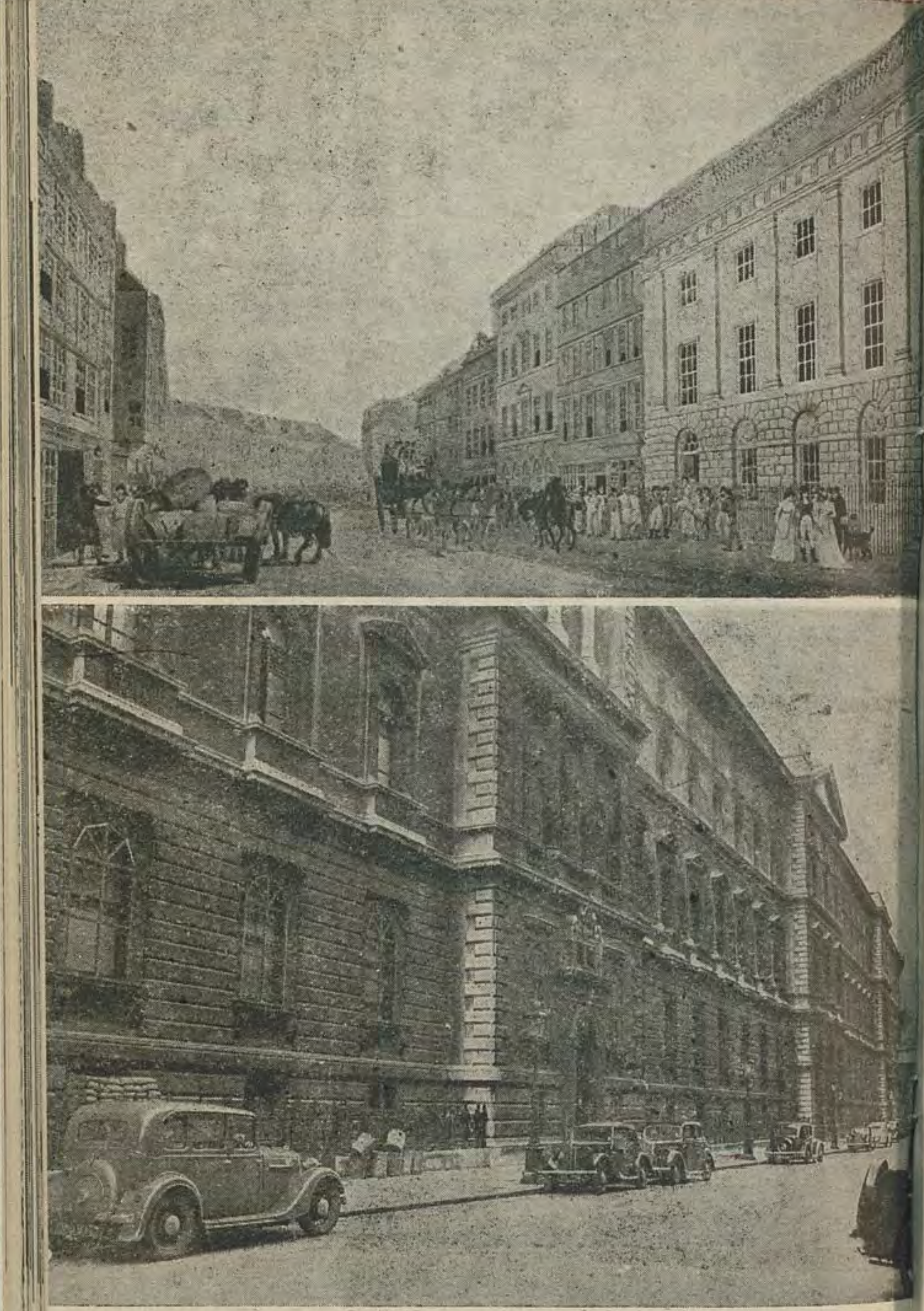
★

مَكتبة وزارة الهند

بقلم الدكتور ا . ج . اربرى

قد يكون من المنتظر اذا سئل شخص على جانب من العلم والاطلاع عما يتصوره من محتويات مكتبة احدى مصالح «وايتهول» الحكومية ان يكون جوابه انه يتصورها ممتلئة بصفوف متراكمة من الكتب والوثائق الرسمية ذات الغلاف الازرق وبما يماثلها من اوراق لها بلا شك قيمتها العملية ولكنها تمتاز بما تحويه من احصائيات لا بما تشتمل عليه من علم وادب . وقد يكون تصوره بالنسبة لمكتبة وزارة الهند بالذات انها لا بد ان تكون متضمنة لوثائق مزدحمة بالاحصائيات لانه لا يمكن ادارة امبراطورية تبلغ نحو ٤٠٠ مليون نسمة دون ان تتوافر المعلومات والحقائق والارقام . والواقع ان ذلك كله موجود فى مكتبة وزارة الهند وعلى رفوفها ولكنه لا يكون الا جزءا صغيرا من مجموع محتويات هذه المكتبة التى تحتوى على ٢٣٠ الف كتاب و ٢٠ الف مخطوط بجميع مختلف لغات العالم تقريبا . ومن المستحيل ان تقدر هذه المجموعة بثمن لانها تحتوى على كثير من الكتب النادرة الوجود وبالاختصار فان مكتبة وزارة الهند هى اكبر مكتبة فى العالم اختصت فى آداب الشرق وعلى الاخص الهند .

ففى اواخر القرن الثامن عشر حينما بدأت عقول الغربيين تتجه نحو مبادىء جديدة انقلابية تقوم على الحرية والمساواة ظهرت رغبة عامة فى معرفة كل ما يتصل بحياة اهالى الشرق وآمالهم وهى حركة سبقت الحركة الثقافية التى تعرف الآن باسم «الاستشراق» . ولا يعنى ذلك ان اديان الشرق ولغاته وفلسفته لم تشغل عناية المثقفين من الغربيين واهتمامهم قبل ذلك الوقت . ولكن الواقع ان هذه العناية وهذا الاهتمام بتلك المواضيع العالية كانا فى اكثرهما واحيانا جملة يرجعان الى



(فى الاعلى) وزارة الهند القديمة بشارع ليدينهول — لندن .
(فى الاسفل) مكاتب وزارة الهند الحالية بلندن .

ومن هذه له كرامات اخبرني الشيخ محمد الصمدي عبيده كان رفيقاه وهو صغير [illegible]
احمد كان صاحبه قال كنا مسافرين مع الشيخ يونس معنا فيه لنا في الطريق على
عين ماء او في التي يجلب منها الملح [illegible] في مكان من سنجار وعانه قال
وكان الطريق مخوفه فلما لم نقدر احد منا ان ينام من شدة الخوف ونام الشيخ
يونس قال فلما انتبه قلت له كيف قدرت تنام فقال لي والله ما نمت حتى
جا اسمعيل ابن ابراهيم عليهما الصلاه والسلام وتكفل بترك القفل قال فلما اضحينا
رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس قال وعزمت مرة على دخول الصين وكم
عند الشيخ يونس من قرابة فقال لي اذا دخلت البلد فاشتر لهم [illegible]
كفنا قال وكان معي [illegible] ففعلت له [illegible] الكفن
فقال [illegible] انه لما [illegible] قد ماتت وذكر له [illegible] احوال
والكرامات ما اشتهر [illegible]

انا حميت الحمى وانا سكنتوقه   وانا رميت [illegible] بحار اللجة
من كان يبغي العطا مني انا اعطيه   انا فتى ما ادانى من به تشبيه

وذكر لي الشيخ محمد [illegible] ان الشيخ يونس توفي في سنة تسع عشر وستمائة في
قرية [illegible] من اعمال دارا [illegible] وقبره مشهور بها يزار وكان
[illegible] رحمه الله تعالى وقدس سره
قلت [illegible] هذا اخر ما اخترته من هذا
الكتاب [illegible] ولله الحمد والمنة وذلك في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

خط عربي يرجع تاريخه الى ٣ ربيع الثانى سنة ٧٠٢ الموافق ٢٥ نوفمبر سنة ١٣٠٢.

اعتقاد راسخ وشامل فى امتياز المسيحية على اى دين آخر والى الرغبة فى التدليل على ذلك باقوال هؤلاء الملحدين والوثنيين من اهل الشرق انفسهم. ولكن العامل الذى جد على ذلك وشع بكل قوة وجلاء على الحركة النشطة القائمة الآن هو الاعتقاد بان هذه العلوم الشرقية تستحق العناية والاهتمام لذاتها. وكان هذا الاعتقاد

هو الذى دعا جماعة من الانجليز الذين كانوا بالهند فى خدمة شركة الهند الشرقية الى تأسيس اول جمعية كان غرضها الوحيد متابعة الابحاث الشرقية وكان ذلك فى عام ١٧٨٤ وهى جمعية بنغال الاسيوية . ومن بين مؤسسى هذه الجمعية بعض اصحاب الاسماء المعروفة من طلائع حركة الاستشراق مثل السير وليام جونس المحامى واللغوى المعروف وتشارلس ويلكينز رب الدراسات السنسكريتية واول من اعد الحروف المطبعية السنكسريتية والبنغالية فى الهند .

وقد وافق قيام هذه الدراسات الشرقية الانحلال السريع لسلطة الحكام المغوليين المركزية فى الهند وفناءها وانتشار الحكم البريطانى سواء فى الجيش والسلطات المدنية . وفى اواخر القرن اعتزم مديرو شركة الهند الشرقية فى لندن بعد ان ادركوا اهمية هذه الدراسات الجديدة انشاء مؤسسة للمخطوطات الشرقية كقسم خاص يلحق بمكاتب الشركة بشارع ليدينهول . ودعوا الموظفين السابقين واللاحقين الى الاكتتاب والمساهمة فى سبيل نجاح المشروع وعينوا شارلس ويلكينز مديرا لهذه المؤسسة التى قام ويلكينز على توسيعها متابعة لسياسته التى عرضها فى مذكرة له عن الموضوع حتى شملت انشاء متحف تاريخى للمخلفات الاثرية والطبيعية . وكان تعيين ويلكينز فى عام ١٨٠١ بمرتب قدره ٢٠٠ جنيه فى العام ثم ارتفع بازدياد اعماله وتشعبها مع الزمن الى الف جنيه سنويا . وقد استحق فى آخر حياته الطويلة جزاءا له على ما عمله فى سبيل تدعيم سمعة بلاده كموطن علوم الشرق ان انعم عليه بلقب «سير» .

وكانت اول مساهمة جدية وصلت المؤسسة هى مجموعة عظيمة تحتوى على مخطوطات ثمينة اوصى بها مؤرخ الشركة المحترم روبرت اورم فى وصيته . وكان اورم هذا داعية متحمسا لانشاء مثل هذه المكتبة حيث يستطيع رجال العلوم ان يجدوا مادتهم من المصادر التى يصعب عليهم ان يجمعوها بانفسهم . وكان من المناسب ان يكون اول من يجود

على هذه المؤسسة نفس الرجل الذى دعا الى انشائها . وحدث بعد ذلك ان تم انتصار سيرينجاباتام الرائع وتوفى تيبو سلطان ميسور فوقعت فى يد الجيش مجموعة المخطوطات التى اقتناها هذا الحاكم ووالده من قبله على حساب منافسيه المنهزمين . وبدلا من ان يلجأ الجيش الى السوابق المعروفة فى بيع الغنائم لحساب الجنود المنتصرين قرر فى تسامح وترفع ان يسلم هذه الكنوز الى مدير الشركة العام لتقسيمها بين مجلس المديرين وجمعية البنغال الاسيوية . وقد نفذ هذا الاقتراح بحذافيره وبذلك وضع اول اساس للمجموعة العظيمة من المخطوطات الفارسية والعربية التى تمتلكها مكتبة وزارة الهند فى لندن وجمعية البنغال الاسيوية الملكية فى كلكتا . وقد نمت مجموعة الشركة فى الثلاثين سنة التالية نموا مطردا فضمت اليها فى خلال هذه المدة مجموعات ماكينزى ومجموعة كولبروك التى كانت تبلغ نحو الالفين من مخطوطات سنسكريتية ومجموعات وارن هاستينجز وجون ليدين وكذلك مجموعة جونسون القيمة من المخطوطات والرسوم الصغيرة .

وكان نمو مجموعة التحف الاثرية والقطع الطبيعية اعظم وابلغ ففى سنة ١٨٢٠ عين امين ليتولى ادارة هذا القسم من المؤسسة . ثم فصل المتحف عن المكتبة فى سنة ١٨٣٦ بعد وفاة ويلكينز وبذلك اصبح له كيان مستقل حتى صفيت اعمال الشركة وانتقلت جميع ممتلكاتها بحق الشراء الى الحكومة فاعيد ضم المتحف والمكتبة عند تمام بناء وزارة الهند فى شارع الملك تشارلس . ولكن تبين بعد قليل ان المكان الذى افرد لهما معا فى البناء غير كاف فقرر توزيع محتويات المتحف .

وكان من اهم مراحل تاريخ المكتبة اصدار قانون الصحافة الهندية وتسجيل الكتب فى عام ١٨٦٧ حيث نص هذا القانون على وجوب ارسال نسخة من اى كتاب يصدر فى الهند البريطانية الى وزير الهند فى لندن وبذلك اصبح للمكتبة التى قد تم انتقالها الى الحكومة الحق فى نسخة من جميع المطبوعات الهندية . ولم يلبث ان تبين بوضوح انه ليس من المرغوب فيه الاحتفاظ بنسخة من كل كتاب مسجل فاعطى امين المكتبة

تمتنعا ان يديم ظلال بره وامتنانه على ذوي
كافة العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا
محمد المصطفى الامين

صحيح ما انتقده وبيّنه من اعتدال وحققه
من القراءة والسماع وذكر بعض المسندات
وبعض المؤلفات وقد اجزت له صانه
الله شرفه ورحم سلفه وقد سأل ذلك وعظم
الله وكرامة اتم رواية جميع ما ينمى لي وعزي
الي من مروي ومقرو ومسموع ومناول
ومجاز ووجاده وما من منظوم ونثر ومؤلف
ومصنف بشرطه المعلوم عند حملة العلوم
وكتب الملتجي الى حرم الله تعالى محمد الفيروزابادي
من الله عليه بما من الطريق وعجل اوبته الى
جناب البيت العتيق انه بحقيق اجابة المبتغين
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

امضاء بخط الفيروزابادى من اهل كازرون بالقرب من شيراز مؤلف القاموس.

ارتقى حسب ويقال هو في قرحها اي في اولها ٥

باب ـــــــ اخذ الشيء باجمعه

يقال اخذ الشيء باجمعه واجمعه واخذه بجذافيره واخذه
بجلمته واخذه بزغبره واخذه بزوبره وقال ابن احمر
وان قال غاو من تنوخ قصيدة بها جرب عدت علي بزوبرا
واخذه بصبرته وباصباره ، حاشيه قال ابو بكر ويقال
اخذه بزامجه واخذه باصيلته واخذه بصبرته وباصباره
واخذه بطلبغته واخذه مكهملا . وحكى ابو صاعد الاعرابي
اخذه بزنوبره واخذه بازملمه معنى هذا كله اخذه جميعا
واخذه بصنايته وصنبرته واستوعبه واوعبه ايعابا
ويقال اخذ بقوف رقبته وقافها وطوفها وظافها وظلفها
وطلفها . واخذه بربغه اي بجداثته وكذلك بربانه
وبغورته وبجذموره وجذماره ٥

اقدم مخطوط عربى بمكتبة وزارة الهند. والناسخ اعجمى من بيهق بخراسان.

الحق فى ان يختار بنفسه مجموعة من بينها بناء على الفهارس التى تصدر كل ثلاثة شهور المشتملة على اسماء جميع الكتب التى صدرت فى الهند البريطانية . وحيث ان فن الطباعة لم يدخل الهند الا فى اواخر القرن الثامن عشر فكان محصول الكتب الهندية حتى اواسط القرن التاسع عشر تافها ولم تبلغ آداب الهند الحديثة اية درجة من التقدم حتى الى ما بعد صدور قانون حق التأليف والنشر . فكان لهذا القانون فضل تمكين مكتبة وزارة

الهند فى جمع مجموعة كاملة من مطبوعات على شىء من القيمة سواء فى اللغة الانجليزية او فى اية لغة من لغات الهند المتعددة مما صدر فى خلال السبعين عاما الاخيرة يضاف اليها جميع الكتب التى صدرت فى بريطانيا او اى بلد آخر والتى لها اتصال بالهند او بشعوبها مما اشترته هذه المكتبة او اهدى لها منذ افتتاحها .

ومن الواضح ان هذه المكتبة لكى تلعب دورها كاحد اقسام وزارة الهند يجب ان تحتوى على كل البيانات الوافرة التى تستلزمها ادارة الهند . ومن هنا احتوت هذه المكتبة على الملفات الزرقاء التى لا بد منها ولكنها لا تكون الا جزءا يسيرا من المجموع . ولفهم تطورات نظام الحكم الحديث فى الهند يجب الالمام الكامل بكل ما يتعلق بتاريخ تلك البلاد ومن هنا وجب ان تحتوى المكتبة على كل ما يساعد على دراسة هذا التاريخ من مصادر تتضمن المخطوطات والكتب المطبوعة التى اختلفت انواعها بتعاقب حكام الهند الذين كان آخرهم المغول المسلمون وشركة الهند الشرقية المسيحية ، بما فى ذلك ما دونه مسافرون وتجار غربيون من «رحلات» وما اهتم بوضعه حكام الهند الشرقيون السابقون فى لغات شرقية من « تواريخ » . ومن الطبيعى كذلك ان يقتضى حكم بلاد واسعة كالهند الماما كاملا بحياة وآمال شعوبها فلا بد اذا ان تحتوى المكتبة على بيانات كاملة عن كل ما يتصل بالاديان والثقافات ومن بينها بطبيعة الحال الآداب الخاصة بشعوب الهند المختلفة وهذا ثابت فى مخطوطات او فى كتب مطبوعة . من ذلك كله يتبين لنا بوضوح مبررات تضخم هذه المكتبة باعتبارها احد اقسام وزارة الهند .

اما من ناحية ما يتصل بمباحث العلماء وتيسيرها فان هذا اعتبار كان له المحل الاول فى تقدير مديرى الشركة عند انشاء المكتبة، وهو اعتبار لم يهمل على الاطلاق، فان ادارة المكتبة كانت على الدوام من اختصاص مستشرقين ثابتى القدم فى علوم الشرق . ولا شك ان مجموعة الاشخاص الذين اداروا هذه المكتبة منذ انشائها لمما يستلفت النظر .

فقد خلف ويلكينز على ادارتها الاستاذ ه. ه. ويلسون الذى جمع بين ادارتها واستاذية السنسكريتية فى اكسفورد ثم اعقبه فى سنة ١٨٦٠ الاستاذ بالانتاين الذى خلفه عند وفاته فى سنة ١٨٦٤ استاذ امريكى قام بخدمات مشكورة لبريطانيا اثناء عهد الثورة والقلاقل فى الهند وهو الاستاذ فيتز ادوارد هول الذى تقاعد فى عام ١٨٦٩ وشغل محله الاستاذ راينهولد روست الالمانى وهو صاحب سمعة لا تحتاج الى تعزيز فى الابحاث الخاصة بالشرق ثم الاستاذ تونى وهو استاذ سابق فى الدراسات القديمة ومن اعضاء كلية ترينتى فى كمبردج . وبعد اعتزاله العمل تمتعت المكتبة بعهد طويل من الادارة القديرة الرشيدة التى قام بها عميد علماء الدراسات الهندية الحاضرين الاستاذ الدكتور ف. و. توماس حتى تخلى عن ادارة المكتبة ليشغل الكرسى الذى شغله سلفه ويلسون من قبل . وقد خلف الاستاذ توماس استاذ آخر لا يقل تبحرا فى العلوم الاسلامية وهو الاستاذ ستورى الذى تدين المكتبة بالكثير لقدرته الادارية والعلمية ولم يترك المكتبة كذلك الا ليشغل كرسيا جامعيا عظيما هو كرسى السير توماس آدامس فى استاذية اللغة العربية بكمبردج . وخلفه فى ادارة المكتبة الدكتور ه. ن. راندل الذى يقوم على ادارتها من عام ١٩٣٣ . ومن بين من عمل فى خدمة المكتبة كذلك من مساعدى مديريها اثنان لم يصلا الى المركز الرئيسى فيها احدهما السير توماس آرنولد الذى اتخذ المكتبة ميدانا لدراساته لمدة خمس سنوات قبل القيام بخدماته العظيمة فى الهند ثم فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، والمستر ا. ج. اليس الذى انتقل من المتحف البريطانى وبمعلوماته التى لا تضارع فى اللغات والمخطوطات والمطبوعات الشرقية خدم المكتبة عشر سنوات حتى اعتزل العمل . وهذا البيان هو بلا شك مما يستلفت النظر بالنسبة لبلاد ينسب اليها عامة انها لا تعترف بالدراسات والابحاث العلمية فى سياستها الامبراطورية .

وقد وضعت المكتبة بادارة هؤلاء الاساتذة المديرين فى تصرف جميع العلماء والمعاهد الدراسية فى مختلف انحاء العالم واعدت غرفة مطالعة

واسعة للتلاميذ وطلاب العلم الذين يقصدونها من مختلف بلاد المعمورة . وكثيرا ما عقدت اواصر الصداقة فى هذه القاعة وهى صداقة لها قيمتها لانعقادها بين اشخاص من اصحاب المواهب والنفوذ ينتسبون لبلاد وجنسيات مختلفة . وقد وضعت المكتبة لنفسها نظاما لاعارة الكتب واسعا يساعد هؤلاء الذين لا يستطيعون الحضور للندن على قراءة كتبها ومخطوطاتها فى مكاتبهم الخاصة والمكاتب الجامعية .

ان حركة الاستشراق الجديدة قد بدأت كما رأينا بفضل جهود جماعة ممن كانوا فى خدمة شركة الهند الشرقية بالهند ومنهم انتقلت هذه الحركة الى انجلترا حيث كانت مؤسسة المحفوظات الشرقية بشارع ليدينهول اولى ثمارها . وقد انتقلت هذه الحركة بعد ذلك الى القارة الاوروبية حيث شملها نابليون برعايته وقوته وادمجها جوته وشوبينهاور فى الادب والفلسفة الالمانية . ولما زاد انتشار هذه الدراسات وتقدمها فى اوروبا وآسيا قصد الكثيرون من الاساتذة الاجانب وعلى الاخص الالمان الى الهند لمتابعة دراستهم التى وهبوا لها انفسهم فتمتعوا جميعا بعطف وكرم الادارة البريطانية فى الهند . فانتقلت بفضل مجهودات هؤلاء الاساتذة وغيرهم من الاوروبيين اساليب البحث العلمى كما يعرفها الغرب الى العلماء الوطنيين فى الهند وغيرها من بلاد الشرق فتأسست تقاليد علمية ثقافية دقيقة فى تلك البلاد التى قد كانت نشأت فيها الثقافة الشرقية . وقصد الكثيرون من ابناء الشرق الى معاهد العلم فى البلاد الاوروبية التى اجتذبتهم اليها فقصدها الكثير منهم لدرس ميراثهم الثقافى العظيم فى بلاد الغرب . وقد لعبت ولا تزال مكتبة وزارة الهند دورا مفيدا مهما فى هذا التبادل العلمى الذى يحاول الغرب به ان يفى ببعض دينه للشرق . كما ان مثل هذه المكتبة تساعد على تيسير دراسة المدنيات الشرقية وثقافة الشرق وبذلك تساعد على القضاء على عوامل سوء الظن والجهل التى وقفت عقبة فى طريق التفاهم والتعاون الكامل بين الشرق والغرب .

واليوم نرى النور يحجب عن جانب كبير من العالم تطفأ فيه انوار العلم والحرية . وحرية الضمير والعلم هى اساس الديموقراطية كما نفهمها فى هذه البلاد . والديموقراطية فى صورتها المثالية لا تقف عند الحدود القومية ولكنها تتعداها وتبسط يد الاخوة الى اقصى نواحى العالم . وكما ان القبيلة تطورت فاصبحت مدينة والمدينة قد تطورت بدورها فاصبحت شعبا فالمعقول كذلك، تبعا لسنة التطور التى مهما اعترضها من عقبات فلن تتغلب ولن تندرس، المعقول ان تتحول الشعوب الى وحدة عالمية واحدة . ولا شك ان الاستشراق له مساهمة فعلية فى سبيل تحقيق هذا التطور اذ ليس هناك اكثر تأصلا من التنافر الذى استفحل فى الماضى بين الشرق والغرب . والاستشراق كفيل بان يثبت ان هذا التنافر ليس مؤسسا الا على الجهل، وان التفاهم الكامل المعقول يمهد الطريق للقضاء على تلك الخصومة الانسانية القديمة . ولا شك ان مكتبة وزارة الهند بخدماتها لهذه القضية تلعب دورا هاما فى تاريخ الانسانية .

جزء من حجرة المطالعة بمكتبة وزارة الهند .



شاعر الديموقراطية


تمثال نصفى للشاعر الامريكى
وولت ويتمان .

لو جاز لاى كاتب ان يلقب بحق بشاعر الديموقراطية فانه باجماع الآراء واتفاق الجميع من حق الشاعر الامريكى وولت ويتمان ان يفوز بهذا الشرف .

ولد ويتمان فى عام ١٨١٩ وتوفى فى عام ١٨٩٢ وبذلك يكون قد شاهد اثناء حياته نمو الولايات المتحدة الامريكية وتطورها من مجموعة من الولايات على الساحل الشرقى من القارة الامريكية لم تكد تتخلص من النفوذ الاجنبى الى اقوى شعوب العالم واكثرها ديموقراطية . وقد عاصر الايام الخطرة التى لابست الحرب الاهلية الامريكية، وكان بطبيعة الحال من مناصرى الرئيس لينكولن فى هذا الصراع الشديد. وتعد القصيدة التى رثى بها لينكولن بطل الحريات والحقوق الانسانية الذى قتلته يد مجرمة فى ساعة انتصاره وفوز قضيته من اروع قصائده . وفيها يقول :

ايها الربان الماهر، اى ربانى لقد وصلت رحلتنا الشاقة الى نهايتها
وتغلبت السفينة على كل العقبات والصعاب واحرزنا الفوز الذى
كنا نسعى الى ادراكه،
واصبحت الميناء على مدى النظر ورن طنين الاجراس فى سمعى
وتملكت الجماهير نشوة الفرح والفوز،
واخذ الكل يرقبون بابصارهم السفينة المتئدة وهى تشق طريقها
بقوة وثبات،

ولكن واحرّ واحرّ قلباه !
لقد تناثرت نقط الدماء القانية على ظهر السفينة حيث يرقد ربانى الماهر
وقد سقط قتيلا هامد الجثة .

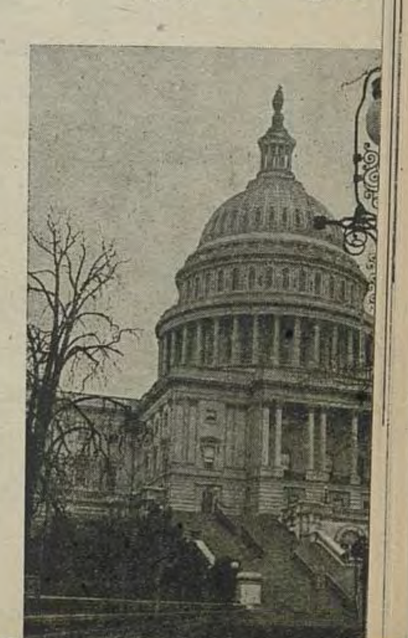
اى ربان السفينة، ربانى وزعيمى استيقظ واستمع لرنين الاجراس
استيقظ فقد نصبت لك الاعلام ونفخت من اجلك الابواق
واعدت لك باقات الزهور والاكاليل وازدحم من اجلك الشاطئ
وتجمعت الجماهير المحتشدة تناديك وقد دارت رؤوس افرادها وهى تبحث عنك
ايها الربان الماهر ايها الوالد العظيم
هاهى ذراعى امدها تحت رأسك
وانه لاشبه بالحلم ان تسقط قتيلا هامد الجثة على ظهر السفينة .

ان ربانى لا يجيب وقد صمتت شفتاه واصفر لونهما
ان والدى لا يحس بذراعى فقد وقف نبضه وشلت عزيمته
والقت السفينة مرساها سالمة بعد ان اتمت رحلتها
وعادت منتصرة من رحلتها الحافلة بالاخطار بعد ان ادركت غايتها ومقصدها

فازدحمى ايتها الشواطئ بالجماهير المستبشرة ودقى ايتها الاجراس

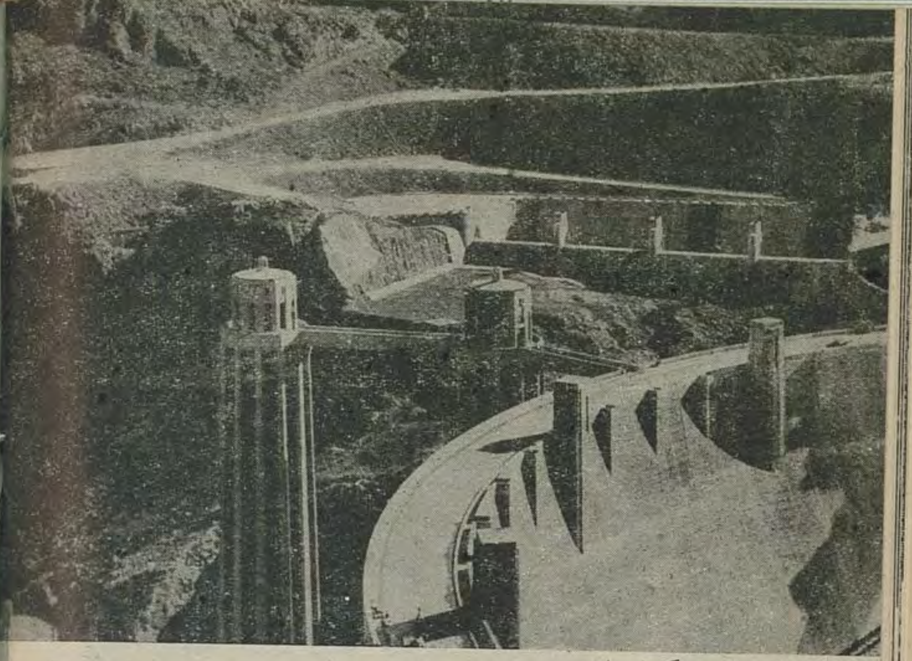
ولكنى وقلبى قد تقطعت نياطه من الحزن اذرع ظهر السفينة حيث يرقد ربانى هامد الجثة فاقد الحياة .

الكابتول — واشنجطن .





ليبرتي كاب ومساقط فيرنال — مكان اشتهر بجماله وبهجته بكاليفورنيا .



نظر لخزان بولدر بكولورادو .

وقد ادرك ويتمان بحق ان فى ثورة الولايات الجنوبية تهديدا خطرا ليس فقط لحياة الجمهورية الامريكية ووحدتها بل لقضية الحرية فى العالم اجمع ولا شك ان عبارته التى نقشت على قبر لينكولن تلخص فى بلاغة واختصار لا تتجاوز اربعة سطور المثل العليا التى فقد من اجلها الآلاف من مواطنى لينكولن الامريكيين حياتهم وهى :

هذه الرماد كانت قبل الآن رجلا
وكان رجلا لطيفا بسيطا عادلا حازما
وبفضل يده البارعة ورغم ابشع الجرائم عرفها تاريخ اى بلد واى عهد
قد تمكن من انقاذ وحدة الولايات المتحدة .

وكانت وحدة جمهورية الولايات المتحدة الشابة هى اغنية ويتمان التى اعتاد ترديدها من وقت لآخر وهى وحدة اسست على المثل العليا للزمالة والاخوة التى هى صميم الديموقواطية :

هيا فسأحقق للقارة وحدة لا انفصام لها
وسأكون فيها اعظم الاجناس وابقاها على التاريخ
وسأجعل منها بلادا مقدسة لها جاذبية
بفضل محبة الرفاق والاخوان
بفضل محبة الرفاق الباقية على مدى حياتهم .

سأزرع الصداقة والاخوة فى مثل قوة وازدهار الاشجار التى تمتد
على شواطىء انهار امريكا وبحيراتها واوديتها العظيمة
سأجعل فيها مدنا لا تقبل الانفصال
بفضل محبة الرفاق والاخوان
بفضل محبة الرفاق وصداقتهم القوية التى تليق بالرجال .

ومثل هذه الدولة العظيمة القوية التى تفيض بالحياة يجب الا تكون اداة بلا روح او آلة تديرها وتحركها اذرع مسترقة مستعبدة اذ ان الدولة الديموقراطية تقوم اولا وآخرا على حرية الافراد المواطنين وحقهم الكامل فى حرية الفكر والقول وقد كتب ويتمان فى صدر كتابة «اوراق الحشائش» وهى مجموعة من الاشعار ترجمت الى لغات كثيرة :

اذا ما تغنيت بالحديث عن الانسان الفرد
فانما اتغنى بالحديث عن كائن بسيط منفصل بذاته
وعندما يكون الحديث عن الديموقراطية او المجموع
فعندها يكون الحديث عن الكل من قمة الرأس الى اخمص القدم
وليس الحديث عن الاعضاء وحدها او الذهن وحده حديثا
خليقا بالرجل المثالى الكامل
ولكن الجسم كله والهيئة كلها اكثر استحقاقا للعناية والاهتمام
يستوى فى ذلك الرجل والمرأة .

وهذه الحياة الزاخرة بالعواطف والنزعات والقوة

يهزها المرح بالحرية الكاملة القائمة على القوانين الالهية
هذه المعانى التى يمثلها رجل العالم الحديث عنها اتغنى .

وتلك الطاعة العمياء من جانب الرعية للحاكم وهى الطاعة التى يدين بها جماعة الديكتاتوريين فى القرن العشرين كانت بالنسبة لويتمان ككل المفكرين انكارا صريحا للعقل والحكمة السياسية . وقد ورد فى اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية الذى اعلن فى ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ : «نحن نثق بان المبادىء الآتية واضحة للعقل السليم وهى ان جميع الرجال قد خلقوا متساوين وان الخالق قد وهبهم جميعا حقوقا لا تنازل عنها منها الحياة والحرية وطلب السعادة، وان الحكومات قد وجدت لضمان هذه الحقوق وانها تستمد قوتها من رضاء الشعب، وان من حق الشعب ان يلغى او يستبدل اية حكومة تحود عن هذه الاغراض او تحاول القضاء عليها وان يضع مكانها حكومة لها مبادئ وقوى وان ينظمها فى شكل يكون اكثر تحقيقا للنجاح والسعادة» . وهذا الحق فى الثورة ضد الظلم والطغيان وهو اساس الدولة الديموقراطية هو مما تعصب له ويتمان ونادى به المرة بعد المرة . وفى هذا يقول :

الولايات المتحدة او اية ولاية او مدينة فيها
قاوموها كثيرا واطيعوها قليلا
اذ لو سادت الطاعة العمياء وعم الاستعباد المطلق
لو عم الاستعباد المطلق لما امكن لاية امة ولا ولاية ولا مدينة على ظهر الارض ان تسترد حريتها من جديد .

ما هى اذا الرابطة التى تعزز العلاقات فى دولة ديموقراطية ؟ اما الطاعة العمياء فهى غير مقبولة وليست جديرة بالرجال الاحرار ولكن الشعب العظيم يستمد وحدته وتآلفه من الاعمال النبيلة والعظيمة التى يقوم بها الافراد المواطنون . وقد وثق ويتمان فى جوهر ابناء وطنه حتى

انه كان يعتقد انهم بلا شك اكفاء لبلوغ هذا المستوى فى وحدتهم القومية وهو يقول :

رأيت فى احلامى مدينة تعز مناعتها على كل غزوات شعوب الارض
ورأيت انها المدينة الجديدة التى تعتمد على صداقة ساكنيها
وليس فيها اعظم من قوة الحب الصحيح الذى يسود كل شىء آخر
ومظاهر هذا الحب ظاهرة دائما فى كل اعمال ابناء هذه المدينة
وفى جميع مظاهرهم واقوالهم .

ولا شك ان الدولة المؤسسة على مثل هذه المبادئ هى اقوى اعمال الانسان وابقاها :

ماذا تظن اكثر بقاء
اتظنها المدينة الكبيرة

ناطحات السحاب على شارع الكورنيش — شيكاجو .



او الدولة المزدحمة بالسكان والمصانع او دستورا بنى على قواعد
مؤسسة او السفن العظيمة
او فنادق بنيت من الجرانيت والحديد او احدى قطع الهندسة
العظيمة او القلاع الحصينة او الاسلحة المتكاثرة ؟

كلا هذا كله لا يغنى عن شئ
وهو انما يؤدى واجب وقته اذ يرقص الراقصون على نغمات
الموسيقى
وينتهى بذلك الحفل السامر وقد ادى كل عمله
واداه على اتمه حتى يتحدى ذلك كله قوة اعظم .

اما المدينة الفاضلة فهى التى تضم بين جنبيها اعظم الرجال والنساء
حتى ولو بنيت من اكواخ متهدمة فانها مع ذلك اعظم مدن العالم.

وكانت اوروبا ايام ويتمان فريسة الحروب التى اثارها الديكتاتوريون
من اهل القارة . وبينما كان الشاعر يتأمل هذه الظروف المحزنة ادرك

...رة اخذت من الجو للنصب التذكارى للينكولن .



بالهامه ان الرجال الذين فقدوا حياتهم فى معركة الحرية التى كانت مغلوبة موقتا لم تكن ارواحهم ضائعة هدرا، وان ارواحا اخرى لم يكن قد حل وقتها بعد كانت فى الانتظار لتقوم مقام هؤلاء الشهداء فى قضية لا بد من انتصارها فى النهاية. واقوال هذا الشاعر الرائعة التى فاه بها فى تلك الايام المظلمة تحمل رسالة مناسبة لظروفنا الحاضرة كانه قالها من اجلنا نحن فى ايامنا هذه :

بينما توضع الجثث فى مراقدها الجديدة وهى جثث شبان ملطخة
بالدماء
وقد اعدت حبال المشانق وتطاير رصاص الامراء فان عناصر
القوة تضحك ساخرة من هذا كله
كل هذه الاشياء تؤتى ثمارها وهى ثمار طيبة .

وجثث الشبان هذه
جثث هؤلاء الشهداء الذين اعدموا على المشانق وهذه القلوب
التى اخترقها الرصاص
هى مع ما يبدو عليها من البرود وفقدان الحركة تعيش فى عالم
آخر بقوة لم يصبها الفناء .

فهى تعيش ايها الملوك فى اجسام شبان آخرين
فى اجسام اخوة على استعداد لان يتحدوكم
وقد طهرهم الموت وزادهم العلم ورفعتهم نفوسهم .

فليس من قبر لشهيد من شهداء الحرية الا ونبتت فيه بذور للحرية
ستأتى ثمارها ببذور بعد حين
وستنشر الريح هذه البذور فى كل مكان وتعيد نباتها من جديد بعد
ان تغذيها الامطار والثلوج .

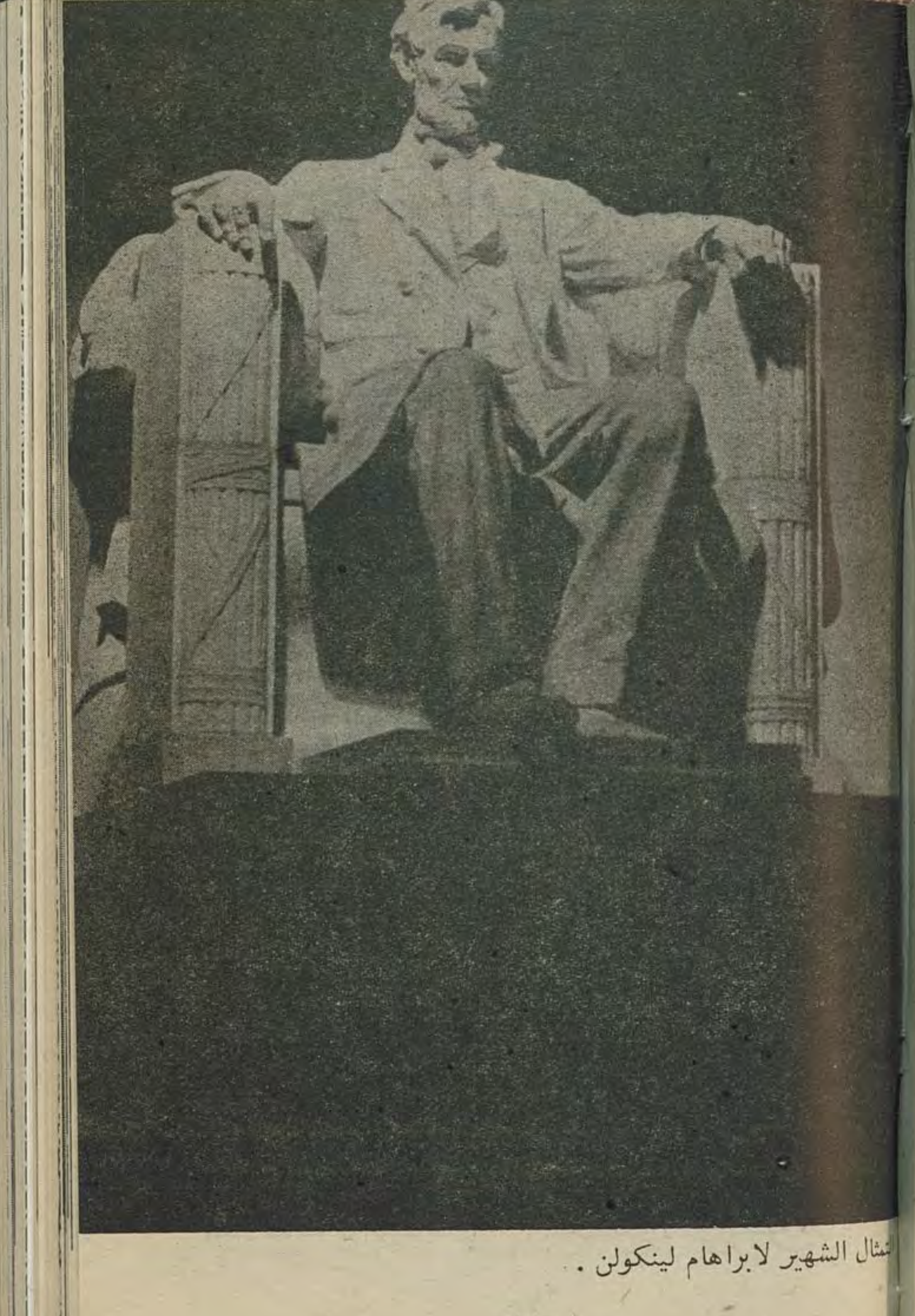
فان اسلحة الطغاة لا تستطيع ان تقضى على الارواح الاثيرية
وهى انما تسعى فى الارض بعيدة عن الابصار هامسة موحية محذرة .

ايتها الحرية فليـيأس الآخرون منك فانى لن ايأس ابدا .

هل اغلق المنزل وغاب عنه سيده؟
لا بأس فلتستعدوا ولن يتعبكم الامل وطول المراقبة والانتظار
فسيعود سيد المنزل عما قريب وها هو رسوله يسعى الآن على قارعة الطريق .

لا شك ان مثل هذه الرسالة هى مما يقوى الامل عند هؤلاء الملايين من الرجال والنساء الذين يقاسون العذاب تحت اقدام الدكتاتورية الظالمة ! «سيعود سيد المنزل عما قريب وها هو رسوله يسعى الآن على قارعة الطريق » . نعم ان رسل الحرية هم الآن منتصرون وهم يحومون اجواء اوروبا المظلمة ويحطمون المصانع التى تعد فيها اسلحة الطغيان ويدقون اجراس الموت للظالمين .
«ايتها الحرية فليـيأس الآخرون منك فانى لن ايأس ابدا ! » كأن روح ويتمان تسعى فى البلاد اليوم وكانه قال شعره من اجلنا نحن . وكم تبدو كلماته قوية فى آذاننا لانه استطاع بخياله الشعرى ان يصور حقائق عظيمة وهى انه مهما استطاعت قوى الشر بكل جبروتها ان تحاصر قلاع الحرية فان هذه القلاع لن تسقط ابدا وعلى العكس ستكون مركزا لدولة العالم اجمع تلك الدولة التى ستفنى خوف الظلم والفقر والحرب الى الابد، تلك الدولة العالمية التى سيعمل فيها جميع الناس للمصلحة العامة «بفضل محبة الرفاق الباقية على مدى حياتهم » .

ايتها الديموقراطية بينما تصوب الاسلحة من جميع النواحى الى صدرك
اراك بكل هدوء تلدين اولادا خالدين، ارى فى احلامى قواك المتزايدة
اراك بثوبك الفضفاض المنتشر تسعين العالم .



التمثال الشهير لابراهام لينكولن .

أعظم ميناء بحرية فى العالم

منزل صغير شبيه بآلاف من امثاله من المنازل الصغيرة يقع فى شارع خلفى مثل المئات من الشوارع الخلفية الاخرى . ولكن هذا الشارع وهذا المنزل هما ضمن مدينة عظيمة مدينة تاريخية مدينة معتزة بنفسها هى مدينة بورتسموث .

وقد كان ذلك البيت الصغير فى شارعه الخلفى منزلا لى لمدة عشرين عاما من حياتى . ففيه ولدت وفيه تعلمت المشى والكلام ومنه خرجت الى المدرسة حيث التحقت اولا فى سن الثالثة بالمدرسة الاولية الحكومية القريبة ثم بالمدرسة الثانوية التى اسسها فى سنة ١٧٣٢ الدكتور وليام سميث من اهالى بورتسموث . وقد تابعت دراستى فى هذه المدرسة حتى التحقت بجامعة كمبردج .

وقد كان والدى بحارا كوالده واجداده من قبل وقد حارب احد اجدادى الاقدمين تحت قيادة نلسون فى موقعة الطرف الاغر وهى الموقعة التى قضت على نابليون . وقاتل والدى وعمى فى موقعة جاتلاند وهى التى هدمت اطماع قيصر المانيا . وقد قتل عمى فى هذه المعركة. وكنت لسوء الحظ اول من خرج عن تقاليد الاسرة القديمة بعدم الالتحاق بالبحرية. ولكن اذا كنت لم استجب لنداء الامواج المتلاطمة والآفاق البعيدة فانى بدورى

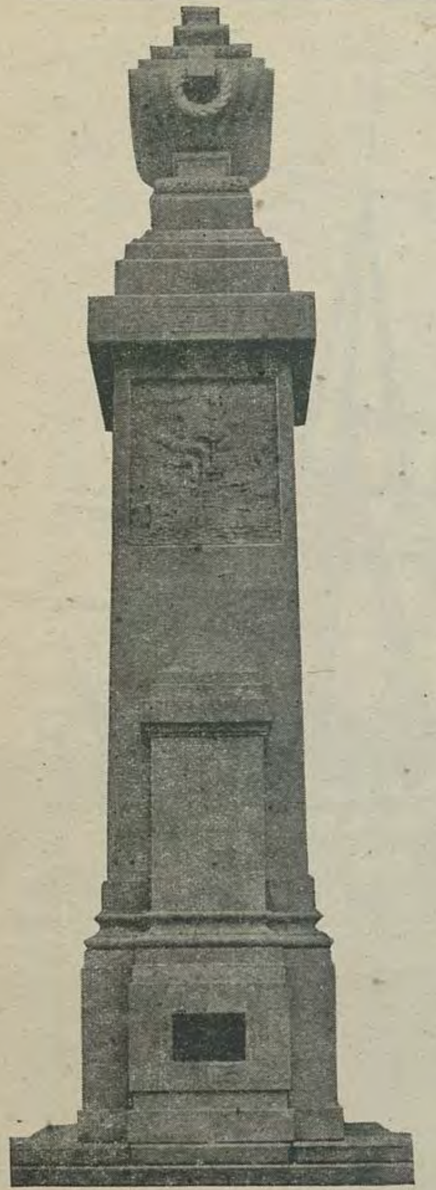


شعار مدينة بورتسموث .

قد استجبت نداء آخر لآفاق اخرى بعيدة جذابة وسغرية وهى آفاق العقل الممتدة . والا فكيف يمكن ان افسر الغامض وهو ما خالطنى، انا ابن البحار الذى ولد فى منزل صغير فى شارع خلفى فى بورتسموث، من الميل الى دراسة اللغات الشرقية وان انشد ماء الحياة فى ينابيع اشعار ابن العربى وقصائد ابن الفارض؟

تاريخ بورتسموث

بورتسموث كما يعرف الكثيرون من القراء ولا شك هى اعظم ميناء بحرية فى العالم وهى اكبر قاعدة للاسطول البريطانى اكبر اساطيل العالم. ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٠٠٠٠ نسمة ولمعظمهم روابط بالبحرية البريطانية اما كبحارة او زوجات وابناء البحارة اوكصناع للسفن او زوجات وابناء لهم . وهكذا الحال فى بورتسموث من قرون عديدة. وقد استعمل الرومان خليج برتسموث الواسع المحاط بالبر مرسى لهم حين استيلائهم لبريطانيا، وبنوا فى مدخل هذا المرسى معسكرا محصنا يعرف الآن



النصب التذكارى لشهداء البحرية فى الحرب الماضية ببورتسموث.



سفينة قياذة نلسون «النصر» وقد كسيت كما كانت فى موقعة الطرف الاغر.
وترى بمقدمة الصورة احدى الغواصات البريطانية .

باسم بورتشستر . وبه قلعة عمرها الرومان واتمها النورمانديون وهى ما زالت قائمة حتى اليوم اثرا عظيما للايام الماضيـة . وقـد سجن بها الاسرى الفرنسيون ايام حروب نابليون وما زالت اسماؤهم المحفورة على حيطـان قلعـة بورتشستر تستدعى انتبـاه الزائر المدقق .

عظمـة بورتسموث

ترجع عظمـة بورتسموث الى ايام هنرى الثامن وبدء عظمـة قوة بريطانيا البحرية اذ ابتدأت احواض بورتسموث تـتسع من ذلك العهـد . وكانت اولا عبارة عن بضعة افدنة مجهزة لبناء واصلاح السفن الخشبية الصغيرة من النوع الذى حطم به دريك الاسطول الاسبانى فى سنـة ١٥٨٨ وخلفتها الآن الاحواض والمصانع تنتشر على مساحة واسعة وتكون حلقة هامة فى سلسلة حلقات قوة بريطانيا وعظمتها .

وبورتسموث كما عرفتهـا فى صبـاى هى بورتسموث السـابقـة على الحرب العالمية الماضية ١٩١٤—١٩١٨ وكان كثير من الجزيرة التى بنيت عليها المدينة — وهى عبارة عن ارض على شكل الكمثرى يبلغ اتساعها فى ابعد مساحاتها عرضا وطولا نحو اربعة اميال ويفصلها قنال ضيق عن البر — ما زال ارضـا زراعيـة وحقـولا خضراء ينبت فيها القمح وترعى الماشية . وقد ذهبت الآن هـذه المزارع تماما وزحف عمال البناء بسرعـة على الاراضى الزراعية ليعدوا عليها مساكن للسكان المتزايدين . وما زلت اذكر اول اوتوبيس قطع شوارع بورتسموث .

شاهدت فى صيف عام ١٩١٤ قبل اعلان الحرب الاولى بين بريطانيا والمانيا بايام قليلة احد المناظر العالـقة دائما فى مخيلتى . وكان ذلك فى صباح احد الايام حيث شاهدت اكثر وحدات الاسطول البريطانى التى كانت قد تجمعت فى ممر سبيتهيد بين بورتسموث وجزيرة وايت لاستعراضها بحضور جـلالـة الملك جورج الخـامس، وهى تخرج الى عرض البحر فى صف لا نهاية له لتأخـذ مواقفها فى المحيطات والبحار لحراسة بريطانيـا

والمصالح البريطانية ضد المانيا وهجماتها . وكان الرجل المكلف اذ ذاك بمسئولية العمل الذى قام به الاسطول البريطانى فى ذلك العراك العنيف الذى حدث بعد ذلك بقليل هو نفس الرجل الذى قبض بيده الحازمة على دفة الامور وقاد بريطانيا سالمة وسط صخور واخطار الحرب الحاضرة والذى سيمكنها بفضل الله من السلامة والنصر وهو رئيس وزرائها الحالى ونستون تشرشل .

ذكريات بورتسموث التاريخية

كنت فى عهد طفولتى اعجب كثيرا بالذكريات التاريخية لبعض مبانى مسقط رأسى القديمة حيث عاش كثير من الرجال العظام على مرأى من البحار التى اسست عليها عظمة انجلترا . وكان مما يسرنى كثيرا مطالعة اللوحات التى ركبت على كثير من هذه المنازل والمبانى القديمة وقد كتب على احداها «هنا قضى نلسون ليلته الاخيرة فى انجلترا» وعلى الاخرى «هنا عاش آنسون» وعلى ثالثة «هنا عاش شارلس ديكنز ومكث مدة طويلة» وعلى رابعة «هنا استوطن جورج مرديث». وكثيرا ما مر بخاطرى وارجو ان يتجاوز القارئ عن دور الصبى انه ربما كتبت يوما لوحة من هذه اللوحات على المنزل الصغير فى الشارع الخلفى الذى كان منزلى لعشرين عاما وهو مثل من احلام الاطفال النهارية.

بورتسموث فى السلم والحرب

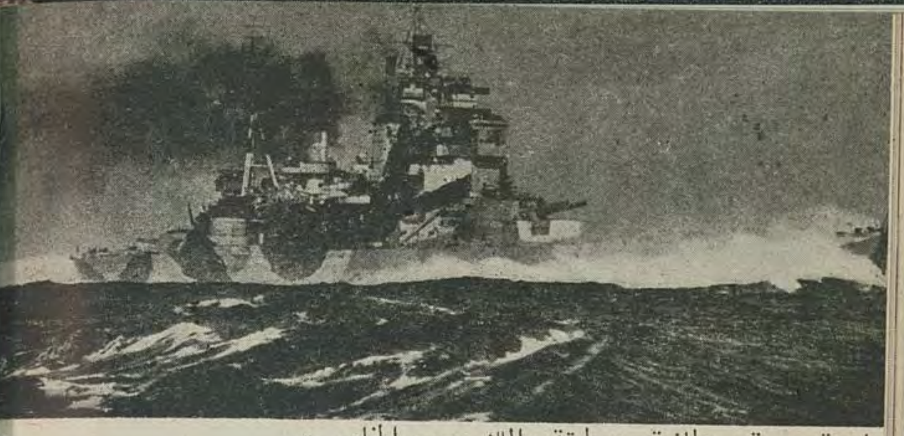
بورتسموث مدينة مرحة مزدحمة العمل فى ايام السلم . فهناك اولا بطبيعة الحال الحياة الصناعية والتجارية والاجتماعية لمدينة يبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٠٠٠٠ نسمة . وهناك كنائس جميلة كثيرة منها كاثيدرائية سان توماس التاريخية التى بنيت فى القرن الثانى عشر فى وسط بورتسموث القديمة وبدلا من نموذج الديك بدوارة الريح يوجد نموذج سفينة حربية وهذا اثر ناطق بماضى بورتسموث. وهناك عدة دور فاخرة للتمثيل حيث ترى اشهر الروايات التمثيلية قبل عرضها على مسارح حى غرب لندن احيانا .



الجيلدهول ببورتسموث .

وهناك كثير من دور السينما الجميلة المتسعة وكذلك المدارس ومن بينها المدرسة الثانوية التى اشرنا اليها ومدرستان ثانويتان حكوميتان الى جانب الكليات الفنية والتجارية . وهناك ايضا المنتزهات الفسيحة . كما ان بورتسموث تفخر بنادى كرة القدم تنتسب اليه فرقة من احسن فرق انجلترا . وقد لعبت هذه الفرقة فى ويمبلى فى عام ١٩٣٩ فى مباراة اعتبرت من احسن المباريات التى شوهدت وفازت بكأس اتحاد كرة القدم .

ولكن ببورتسموث فى ايام السلم اكثر من هذا كله . اذ ان لها ساحلا بحريا ممتازا يجذب عشرات الالوف من المتنزهين فى الصيف حيث يجرى الاطفال فى الطرق المظللة بالاشجار او يرقدون على رمال الشواطئ او يعبثون بالمياه المتدافقة فيكتسبون الصحة والقوة من الشمس الساطعة ونسيم البحر المنعش . وهناك حدائق جميلة يتردد عليها العشاق وساحات



بارجة حربية بريطانية من طبقة «الملك جورج الخامس» .

التينس للرياضيين والخضرة المستوية للعب الكرات التى تناسب الذوق الهادىء وفرق موسيقية للطرب والرقص وسفن بخارية تنقل المتنزهين لجزيرة وايت القريبة . وهكذا اسباب عديدة لتسلية من يعشق اللهو واسباب اخرى للراحة والهدوء لمن ينشدهما .

اما بورتسموث فى ايام الحرب فقد خلعت هذه الثياب الزاهية وبدت فى قوتها العابسة الصارمة وكل شىء فيها يوجهه غرض واحد الا وهو الفوز فى الحرب والقضاء على البربرية الالمانية . على انه يجب الا يعتقد القارىء ان بورتسموث قد فقدت كل بهجتها .

فبورتسموث لم تنس كيف تكون مرحة . وقد زرتها من اسابيع مضت للمرة الاولى منذ بدأت الحرب . وقد اطلق الطيارون الالمان قنابلهم على بورتسموث وعلى منازلها الصغيرة فى شوارعها الخلفية وعلى الكنائس ودور التمثيل والمدارس ودور السينما : تلك كانت الاهداف التى طرب لها هؤلاء البرابرة من الشبان الالمان .

بورتسموث اليوم

ومع ذلك كله فبورتسموث لم تنس ان تكون مرحة طروبة لان اهاليها لم ينسوا عظمة مدينتهم السابقة وهم شديدو الاحساس بعظمتها

الحاضرة وهم لا يزالون يرون حتى الآن سفينة قيادة نلسون «النصر» وهى السفينة الحربية الخشبية التى حارب فيها اعظم قائد بحرى من البريطانيين فى اعظم موقعة بحرية فى تاريخ بريطانيا ومات بعد ان عرف ان اسطول نابليون قد تحطم تحطما نهائيا. وهم يرون ذلك النصب التذكارى فى منتزهات بورتسموث وهو يحمل اسماء هؤلاء البحارة البريطانيين الذين فقدوا حياتهم من اجل حرية العالم فى حرب عام ١٩١٤—١٩١٨ ومن بينهم اسم عمى. وهم يرون اليوم فى طرقات المدينة احفاد هؤلاء الابطال الذين حاربوا تحت قيادة جيليكو وبيتى وسلالة اولئك البحارة الخالدين الذين حاربوا تحت قيادة نلسون ودريك. وهم يعلمون ان بريطانيا ستفوز فى هذه الحرب وهم فخورون بالدور الذى تقوم به البحرية البريطانية فى ضمان ذلك النصر. وهم فخورون كذلك بالدور الذى تلعبه بورتسموث فى انقاذ العالم من البربرية والاستبداد.

ولن تكون هناك لوحة معلقة على المنزل الصغير فى الشارع الخلفى حيث ولدت. فقد علمتنى السنون الحكمة والتعقل. وانا اليوم اعلم ان احلام صبى فى التشبه بديكينز ومرديث لن تتحقق. ولكن هناك مع ذلك سبب آخر اقوى يمنع تركيب تلك اللوحة على الاطلاق. ذلك ان المنزل الصغير فى الشارع الخلفى مع انه يبعد الاميال عن اى هدف حربى، هذا المنزل الصغير الذى قضيت فيه العشرين عاما الاولى من حياتى يبدو انه كان هدفا ظاهرا لطيار المانى فى احدى ليالى الشتاء الماضى. وهكذا قضى على آمال طفولتى بين انقاض هذا المنزل الصغير.

ولكن بورتسموث باقية وصورة شعارها هلال تعلوه نجمة وهى رابطة غريبة عظيمة المغزى بين بورتسموث والشرق الاسلامى حيث وجد الكثير من ابناء بورنسموث السعادة ووجد احدهم على الاقل مجالا للالهام والدراسة. وكتابة شعار بورتسموث هى «نسترشد بنور السماء».

واذا استرشد بنور السماء هل يمكن ان يخطئ الانسان طريق الواجب والحق!

اكسفورد

بقلم الآنسة اجلال حافظ

كانت اول اقامتى فى اكسفورد فى عام ١٩٣٩ عندما اعلنت الحرب ونقلت على اثر ذلك جامعة لندن بفروع الدراسات المتنوعة التى تدرس فيها الى امكنة مختلفة فى نواحى انجلترا وقد وقع الاختيار على نقل كلية الفنون التى انتمى اليها الى اكسفورد المدينة الجامعية الشهيرة ومع ان الاسم، الذى يطلق على الجامعة كما يطلق على المدينة ذاتها التى بها الجامعة، هو اسم مشهور فى كل ارجاء العالم وهو عزيز بنوع خاص على اكابر رجال الشرق والغرب ممن درسوا بالجامعة الشهيرة الا ان تاريخ تلك المدينة وتاريخ الجامعة ونشأتها هو تاريخ شيق مجيد وقد لا يكون معلوما بتفاصيله المثيرة لعدد كبير منا ولهذا رأيت ان اتخذه موضوعا لهذه المقالة مع اضافة وصف للحياة الحالية فيها .

كلمة اكسفورد فى الانجليزية مكونة من جزأين «اكس» ومعناها ثور و« فورد » ومعناها مخاضة الماء او ورد الماء . وعلى هذا فكلمة اكسفورد معناها « مخاضة الثيران » .

ومع ان العرب تقول فى امثالها ان الاسماء لا تعلل فلهذه التسمية علة سأرويها فى اختصار ؛ ومع ان تفاصيل القصة ترجع فى بعض اجزائها الى خيال المؤرخين الذين ربما حوروا فيها تبعا لما املاه عليهم خيالهم فليس هُناك ما يدعو الى رفض تصديق الحقائق الاساسية فى القصة او الشك فى صحة الزمان والمكان .

علق احد الامراء بابنة الملك (ديدان) وشغف بها وجدا وغراما وكانت الاميرة تدعى (فريدزويد) جميلة فتانة المنظر وكان الامير ينحدر من سلالة الملوك والامراء ولذا فهو ند لها وكفء لان يكون زوجها .



برج توم — اكسفورد .

فى الاعلى : كلية باليول .
فى الاسفل : برج وكبرى مودلين — اكسفورد .

بيد انه كان كلما ازداد بها وجدا كلما ازدادت فى جفائه وصده فزاد ذلك فى شدة هيامه بها، فكان كالظل يتبعها اينما حلت وحيثما رحلت ولما كان الامير على شيء من الغلظة وقسوة الطباع كان بغض الاميرة له يزداد يوما عن يوم.

وحدث ذات يوم ان تمكنت الاميرة من الفرار من وجه ذلك العاشق البائس المستبد فاغضبه ذلك ايما غضب وجمع جيشا وراح يجد فى طلبها انتقاما منها لرفضها وفرارها من وجهه . وبينما كانت الاميرة تختبئ فى غابة من الغابات اذ واتها الانباء التى فحواها ان عاشقها التعس قد فقد بصره وغدا ضريرا وهو فى طريقه للهجوم بجيشه على تلك البقعة التى كانت تختبئ فيها . فكان ذلك معجزة ارادت الاميرة ان تخلد ذكراها فأمرت باقامة دير قريبا من مخاضة ماء حيث اعتادت وهى فى مخبئها ان تخرج كل يوم لتشاهد الثيران وهى تسير فى طريقها الى تلك المخاضة، ومن ثم اطلقت على هذا الدير اسم اكسفورد او مخاضة الثيران .

حدثت وقائع تلك القصة فى سنة ٧٠٠ ميلادية، وهذا اول تاريخ يرد فيه ذكر لاسم اكسفورد ولم يسمع بالاسم قبل ذلك التاريخ . وقد ورد اسم اكسفورد ايضا فى اخبار السكسون فى سنة ٩١٢ عندما اشير اليها كمكان على جانب من الاهمية . وعلى ذلك فاكسفورد هى مكان قديم مرت عليه السنون والاحقاب لها فى الوجود اكثر من الف عام، وهى اليوم مركز العلوم والمعارف ومقر الحكمة والنور وهى قلب بريطانيا النابض الذى يبعث فيها الحياة والفتوة .

تتربع مدينة اكسفورد التى تزدان بجمال الشباب وفتنة الصبا كما تتحلى بوقار الشيخوخة وعظمة الزمن بقبابها الرمادية اللون وابراجها التى تناطح السحاب فى بقعة منخفضة تحوطها التلال من كل جانب . ويجرى على كل من ضفتيها فرعا نهر الازيس وهو احد فروع نهر التاميز ويطلق على الفرع الثانى اسم الشارول، وتحوطها من كل جانب خضرة الريف المتناسقة الالوان، وهى خضرة الاراضى التى تغطى بالحشائش وخضرة الغابات المشهورة التى تنتشر على مسافة قريبة منها .

ومن هنا يتضح لنا ان اسم اكسفورد اطلق على المدينة قبل ان يسمع بذكر جامعتها التى لم توجد فى الحقيقة الا فى اواخر القرن الثانى عشر، اذ يستدل من الوثائق التى عثر عليها المؤرخون على وجود مكان عام لطلب العلم فى اكسفورد على جانب غير قليل من الشهرة، وحتى ذلك العهد كان الرجل الانجليزى اذا رغب فى طلب العلم ولى وجهه شطر فرنسا ليدرس فى جامعة باريس الكبرى .

ويدلنا التاريخ على انه فى سنة ١١٦٧ حدثت هجرة عامة من باريس الى اكسفورد ويختلف المؤرخون فى تعليل سبب تلك الهجرة، فمن قائل بان هنرى الثانى ملك انجلترا حينئذ ارسل يطلب عودة جميع الطلاب الانجليز من فرنسا، ومن قائل ان فرنسا اكثر الامم مدنية وحضارة فى ذلك العهد امرت بطرد جميع الطلاب الاجانب من جامعتها وابعادهم من حدود مملكتها .

ولا بد انه كان لاكسفورد فى ذلك التاريخ شأن يذكر كمكان لطلب العلم اذ كانت تحتوى على بعض المدارس ودور العلم ولعل هذا هو السبب الذى من اجله يممت جماعة الطلاب وجهها شطر تلك المدينة عقب عودتها من فرنسا لمواصلة الدراسة فيها ولم يفكروا مثلا فى الاستقرار فى اول بلد ساحلية وطأتها اقدامهم فى الاراضى الانجليزية بعد اجتيازهم بحر المانش ولعل من المحتمل ايضا ان تكون الصدفة وحدها هى التى دفعتهم الى تلك البقعة الجميلة التى كانت تحوطها الغابات البرية من كل جانب .

ومهما يكن من امر فقد اخذت شهرة اكسفورد منذ ذلك الحين تنتشر فى طول البلاد وعرضها و! يمض طويل حتى كان الطلاب يؤمونها لطلب العلم من جميع نواحى انجلترا .

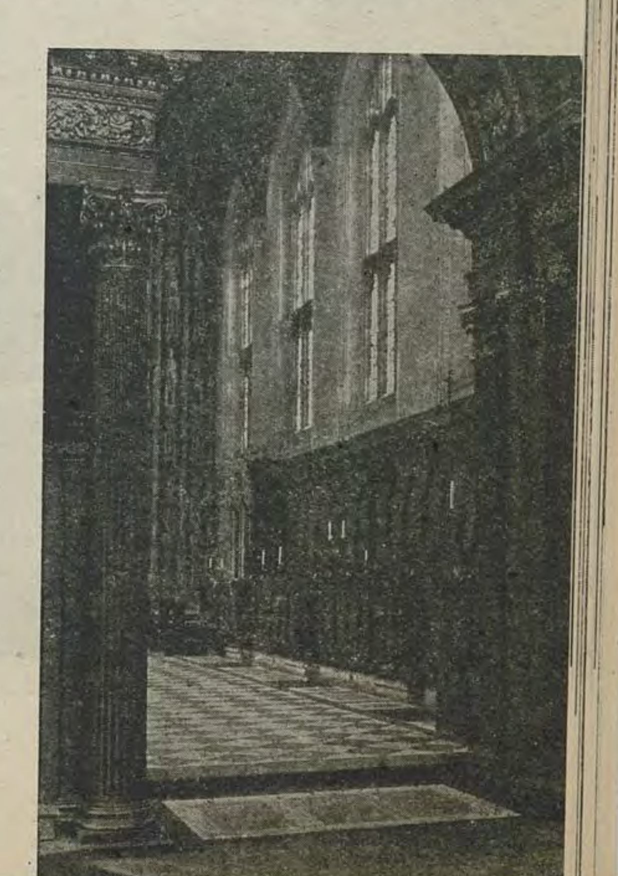
وهنا يجب ان اذكر ما كان للشرق من اثر لا يمحى فى مدنية اوروبا كلها التى ظلت تتعثر فى غياهب ظلمات العصور الوسطى تعانى الامرّين قرونا طويلة ولم تتحرر من نير الجهل والظلم والانحلال الا فى اواخر

فى الاعلى : متحف جامعة اكسفورد .
فى الاسفل : كلية كوينز .

القرن الحادى عشر وخاصة بعد احتكاكها بالشرق الذى كان يفوقها اذ ذاك فى المدنية والحضارة بمراحل عديدة فاستقت منه اول كأس للعلم والنور ومنه تعلمت اول دروسها فى الحكمة والفلسفة وبدأت تنتشر بعد ذلك فى جميع انحاء اوروبا المعاهد العلمية التى يطلق عليها الآن اسم الجامعات .

اما جامعة اكسفورد فقد ظلت تزداد فى النمو والازدهار والشهرة ويكثر عدد طلابها فى كل يوم حتى اواخر القرن الثالث عشر عندما حصلت الجامعة على امتيازات جعلتها وحدة قائمة بذاتها تستقل عن المدينة نفسها كامل الاستقلال ولا تسرى عليها القوانين التى تسرى على المدينة . فكان رئيس الجامعة يعتبر هو الرئيس المسئول عن كل ما يجرى فى الجامعة وعن سلوك من ينتسب اليها من الطلاب وليس لاى سلطة فى المدينة مهما كانت ان تتدخل فى شئونه او تطبق قوانينها على مملكته الجامعية المستقلة.

وكان سبب ذلك الفصل بين سلطة المدينة وسلطة الجامعة ما حدث مرة من نزاع قام بين اهالى المدينة وبين طلاب الجامعة ادى الى اشتباكهم فى عراك تسبب عنه قتل اثنين وستين من الطلاب وكان ذلك فى سنة ١٣٥٤ . ومنذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٨٢٥ كان من عادة رئيس بلدية اكسفورد ان يذهب فى كل عام يصحبه احد المحضرين وستون



كنيسة اول سولز .

عضوا من اهالى المدينة الى كنيسة سانت مارى التابعة للجامعة لتقديم فدية قدرها اثنان وستون قرشا تخليدا لذكرى تلك الحادثة .

وقد استمر ذلك النزاع بين الاهالى والطلاب زمنا طويلا بل قرونا عديدة ولم يقف عند حد الا من عهد قريب جدا اذ لا يزال يوجد من بين الاحياء من يستطيع ان يروى عن خبرة شخصية بعض الحوادث التى وقعت فى ذلك الشجار وتلك المنازعات المشهورة والتى تسمى الآن بالانجليزية (تون آند جون) ومعناها بالعربية شجار (المدينة والجامعة) .

كان لذلك النزاع الذى بدأ يدب بين طلاب العلم من ناحية وبين الاهالى من ناحية اخرى دخل كبير لا فى ادارة شئون الجامعة فحسب بل وفى نظام حكم مدينة اكسفورد ايضا كما سيرد فى سياق الكلام .

يخلط كثير من الناس وخاصة اولئك الذين يبعدون عن الوسط الجامعى بين كلمة الجامعة والكلية لانهم قد لا يعرفون ماهية الصلة بينهما .

ان الجامعة هى البناء الذى تلقى فيه المحاضرات فى فروع العلم المتنوعة وتشرف على هذه الناحية هيأة منفصلة هى التى ذكرت نشأتها وتطورها فى اول المقال . بيد ان الكلية هى الهيأة التى تشرف على حياة الطالب الداخلية من حيث مسكنه ومأكله ومشربه وهى مستقلة عن الجامعة تمام الاستقلال .

اما تاريخ الكليات فهو يبدأ بموت اسقف مدينة (دورهام) فى اواخر القرن الثالث عشر عندما خلف للجامعة مبلغا صغيرا من المال ارادت ان تستثمره فابتاعت به عددا من المنازل الصغيرة . ولا يوجد ما يحمل على الاعتقاد بان وقوع هيأة الجامعة على هذا الاختيار يرجع الى امر آخر سوى رغبتها فى استثمار المبلغ الذى اوصى به الاسقف ولا يوجد ما يحمل على الاعتقاد بان ابتياع تلك المنازل كان لقصد جعلها كسكن للطلاب او الاساتذة وان كان بعض هؤلاء قد اتخذها بالفعل مسكنا له . ولا يوجد ما يدل كذلك على انها اشتريت بقصد ايجاد رابطة بين رواد الجامعة ،

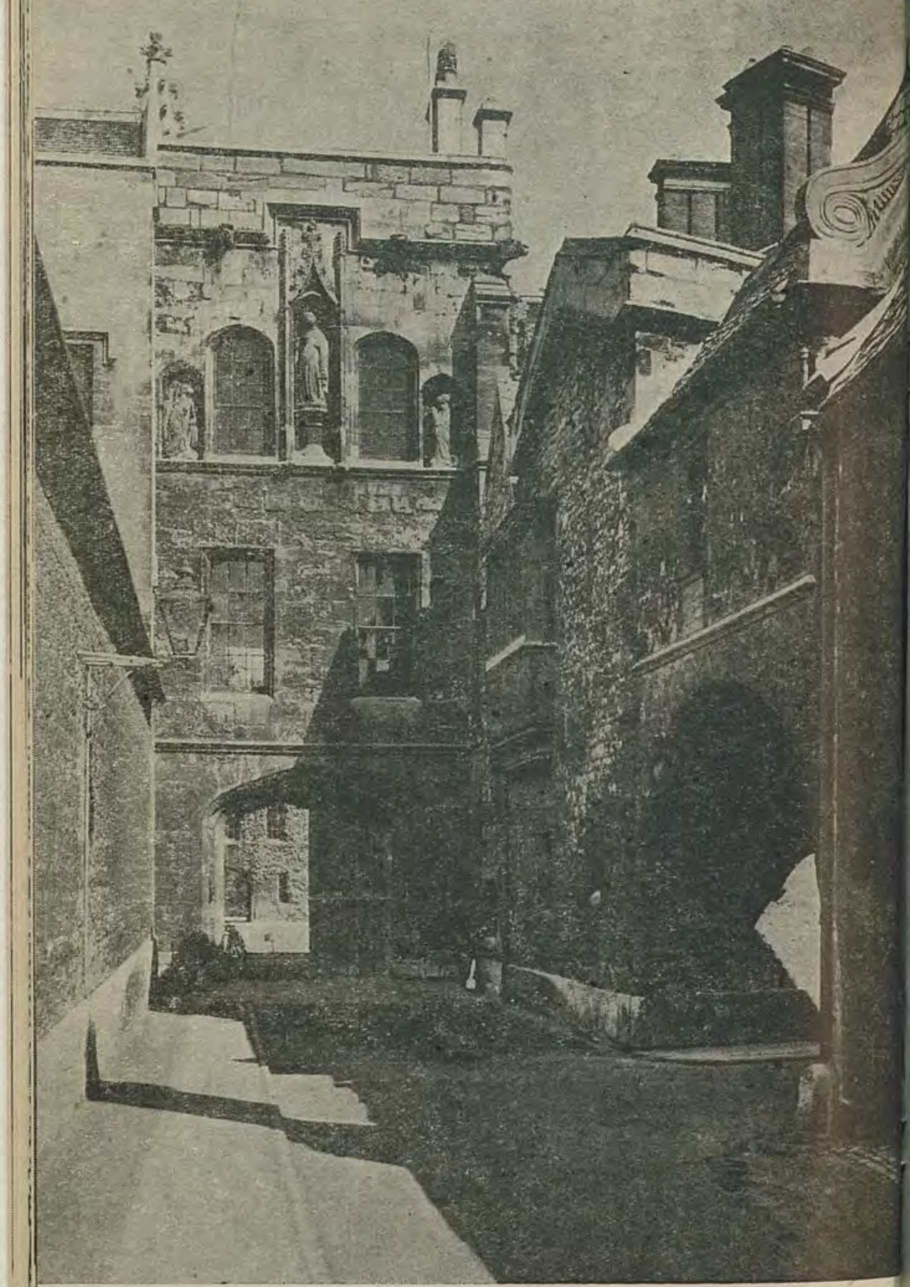
ولكن يمكن القول بانه منذ ذلك التاريخ اى منذ سنة ١٢٨٠ كانت هذه المنازل هى النواة الاولى لما يطلق عليه الآن كليات الجامعة . وقد خصصت فى اول الامر لسكنى بعض الاساتذة الفقراء الذين اقاموا بها واوقفوا حياتهم على تدريس علم الالهيات فى الجامعة . ولم يلبث ان تزايد عدد المقيمين بهذه المنازل من اربعة اساتذة الى عدد فصلين من فضول الطلاب وقد عهد الى الطلبة القدماء منهم الاشراف على الطلبة المستجدين .

اما حياة هؤلاء الطلاب الذين سكنوا تلك المنازل فكانت شيئا اشبه بحياة القديسين وكانت لغة المخاطبة الاساسية هى اللغة اللاتينية كما كان يفرض على المستجدين اطاعة الطلاب الاكبر سنا طاعة عمياء .

وفى سنة ١٦٣٤ بدأ اولو الامر يفكرون فى اعادة انشاء تلك المنازل التى ظل عددها فى تزايد واصبحت تعد مسكن الطلاب الاساسى وكانت حتى ذلك الحين مبنية من الخشب ومبطنة بالطوب النىء .

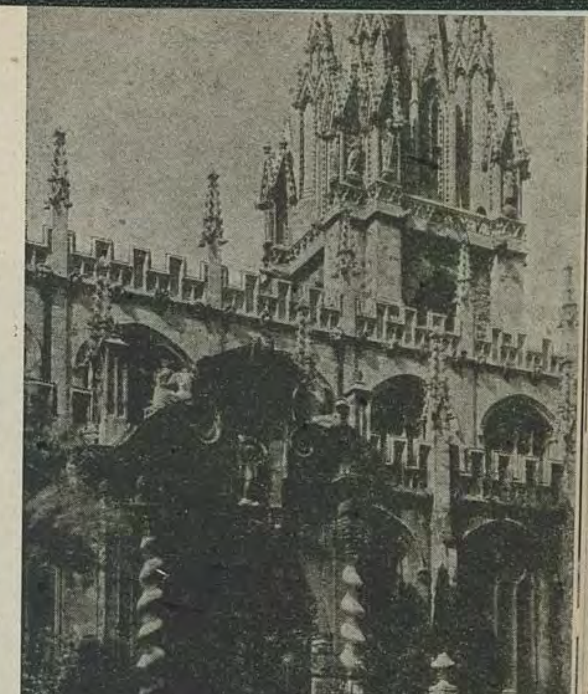
ظل نفوذ الجامعة يزداد تدريجيا بسبب النزاع الذى كان دائم الحدوث بين الطلاب والاهالى وكان رئيسها يستمد نفوذه من رئيس الكنيسة اى الاسقف وعلى هذا كان اشرافه على طلبة العلم هو من ناحية دينية اكثر منه من ناحية كونهم اعضاء فى الجامعة . وفى كل تلك المشاجرات والمنازعات كان سلاح الاساتذة والطلاب قويا ضد الاهالى اذ كانوا يهددونهم بمغادرة اكسفورد وشد رحالهم الى بلد آخر، اذ لم تكن الجامعة الى ذلك العهد تمتلك من المتاع ما يحتم عليها مواصلة البقاء فى اكسفورد . وعلى هذا كان الطلاب يقسمون يمينا ان ينفضوا عنهم غبار اكسفورد اذا سولت لاحد الاهالى نفسه تعمد اساءتهم او عدم تقديم الاحترام اللائق بمقامهم الرفيع . واضطر الاهالى ازاء هذا التهديد الذى كان معناه خسارة مادية لهم وما كان يُصحبه من تأييد الملك هنرى الثالث ورئيس الكنيسة اضطروا الى الاقلاع عن عدوانهم وشجارهم .

وما زال نفوذ الجامعة فى تزايد حتى وصل غايته فى المرسوم الذى اصدر، الملك هنرى الثالث وخول فيه لرئيس الجامعة بعض الحقوق على



مدخل نيو كوليدج .

الاهالى انفسهم . بيد ان رئاسة الجامعة فى الوقت الحاضر هى رئاسة شرفية اكثر منها اى شىء آخر ويختار لها فى العادة من يمتازون بالكفاءة السياسية.


كنيسة سانت مارى .

الطلاب فى اول عهدهم بطلب العلم .

كان الطلاب فى العصور الوسطى يعطون صورة حقيقية للمتجولين فى سبيل طلب العلم فكانوا ينتقلون من جامعة الى جامعة اخرى ومن مملكة الى ثانية لا لغرض سوى البحث والتحصيل وعلى الرغم من اخطار البحار كان هؤلاء الطلاب يسافرون من مشارق الارض الى مغاربها فاذا انفردت جامعة بالشهرة فى فرع من فروع العلم كالقانون او دراسة الالهيات يمم الطلاب من اقصى انحاء المعمورة وجوههم شطر تلك الجامعة . وكان حكام البلاد يزودونهم بالخطابات التى تثبت شخصيتهم وحسن سلوكهم حتى يقابلوا بالترحيب اينما حلوا وحيثما رحلوا، حتى لقد اصدر الملك ادوارد الثالث ملك انجلترا اثناء النزاع الذى نشب بين انجلترا واسكتلندا يحرم مس اى اسكتلندى نزح الى اكسفورد او كمبردج فى طلب العلم بأى اذى كان .

ولم تكن اخطار البحار فى ذلك العهد هينة اذ لم يكن هناك سوى المراكب الشراعية ولم تكتشف البوصلة البحرية بعد، كلا ولم تكن اخطار

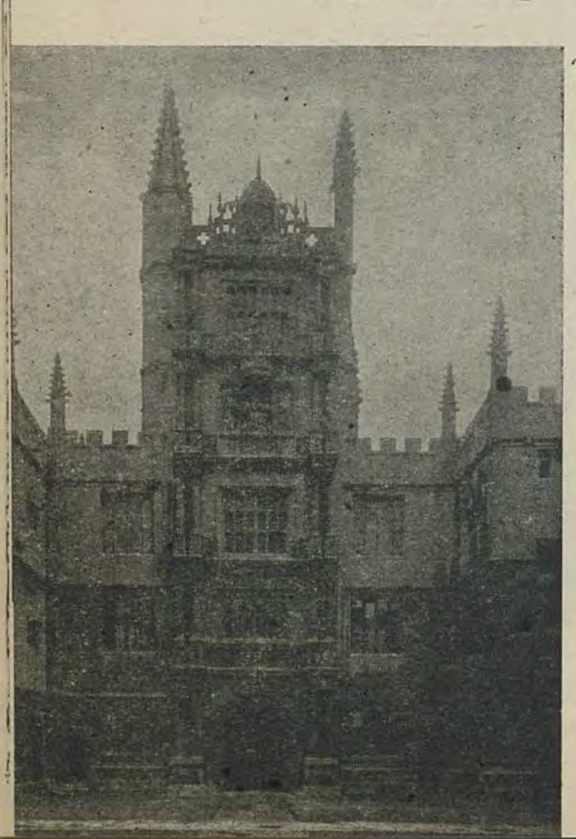
السفر عن طريق البر بأقل خطرا، ولما كانت اكسفورد كما قدمت تحاط بالغابات من كل جانب كان الطلاب يفدون اليها فى جماعات وهم مدججون بالسلاح .

ومن طريف ما يروى فى تاريخ الجامعة التفرقة التى وجدت بين الاثرياء من الطلاب وبين الفقراء منهم الذين لا يملكون شروى نقير؛ اذ لم يكن قد جاء بعد اليوم الذى ارتفعت فيه قيمة العلم والثقافة الى درجة ادبية عالية . وعلى هذا كان ينظر الى ابناء النبلاء نظرة خاصة ولتمييزهم عن غيرهم كانوا يرتدون فوق رؤسهم قبعات تبطن بالفراء الثمين كما كانوا يحصلون على امتيازات لا يتمتع بها سواهم .

اكسفورد الحديثة .

ان لمدينة اكسفورد من غير شك سحرا خاصا يؤثر على النفس تأثيرا قويا بحيث لا يتسنى لابنائها ان ينسوها ولو طال بهم الزمن . وعندما احاول ان افسر سر هذا السحر يتراءى لى انه يرجع الى امرين ، اولهما قدم المدينة الذى يكسبها حلة من الوقار وثانيهما تمتعها فى نفس الوقت بجمال الشباب وفتنته . فالى جانب الاحساس بالرهبة والاجلال والعظمة

برج الاطرزة الخمسة .



والوقار الذى توحيه معاهدها العلمية ومبانيها العتيقة تراها دائما وابدا شابة فتية تتدفق الحياة فى عروق جسمها المزدهر. ولما كان جمال تلك المدينة قد ترعرع ونما مع مرور الزمن كان كذلك تأثير سحرها على الانسان يتسرب الى نفسه بالتدريج. فالطالب الذى يقصدها لتلقى العلم بين جدران معاهدها على ايدى اساتذتها من الفلاسفة والعلماء هو الذى يعرف سر هذا الاثر الذى يخلد فى نفوس ابنائها.

وقد اخترت ان ادرج حركة تعليم المرأة فى الجامعة تحت عنوان اكسفورد الحديثة لان تاريخها فى الواقع حديث جدا، اذ لم تحدث اول حركة فى هذا الشأن الا فى عام ١٨٦٦ عندما صرح لزوجات الاساتذة واخواتهم حضور بعض المحاضرات فنظمت لهن فصول خاصة بصفة مؤقتة؛ ثم صرح للنساء بالتقدم لبعض امتحانات الجامعة لاول مرة عام ١٨٨٤؛ واخيرا فى عام ١٩٢٠ ابيح لعضوات الجامعة من الجنس اللطيف التقدم للحصول على درجات الجامعة على قدم المساواة مع الرجال وراحت تسرى عليهن منذ ذلك الحين قوانين الجامعة من غير تمييز بينهن وبين الرجال وتلحق بالجامعة اليوم اربع كليات خاصة بالنساء يبلغ عدد العضوات فيها حوالى ٨٠٠ عضوة.

وحياة الطالب او الطالبة فى اكسفورد اليوم — او على الاصح قبل الحرب — هى حياة مليئة بانواع النشاط الثقافى، والرياضة البدنية وانواع التسلية المنتجة. فهناك عدد كبير من الجمعيات للطالب ان يشترك فيها جميعها ان اراد واشهر تلك الجمعيات هو «اتحاد الجامعة» وهو شهير بمناظراته التى يعقدها على الطريقة البرلمانية البحتة. ولذا كان اول تمرين لكثيرين من رجال السياسة البريطانية الذين تفوقوا فى الخطابة والمناظرة هو فى ذلك الاتحاد المذكور.

وتوجد نواد اخرى متنوعة مثل نادى الفن المسرحى ويلتحق به من يولعون بالمسرح وقد شاهدت روايات عدة اخرجها ذلك النادى وكانت

(فى الاعلى) كلية اوريل .

(فى الاسفل) اول سولز ورادكليف وسانت مارى — اكسفورد .

كلها لا تقل جودة فى الاخراج والتمثيل عن روايات المحترفين على مسارح لندن الشهيرة .

وهناك نادى الموسيقى الشهير بحفلاته الموسيقية التى ينظمها باستمرار ويلحق بهذا النادى مكتبة للموسيقى يستعير منها الطالب اسطوانات اشهر الموسيقى وكذلك الكتب المتعلقة بالموسيقى . وهناك بالاضافة الى هذا نواد عديدة جدا للرياضة البدنية التى تشمل التجديف فى نهرى اكسفورد الشهيرين والعاب التنس وما خلافه .

ولا تجد كلية من كليات اكسفورد الا وتمتلك ذخائر عظيمة القيمة اما لجمالها الفنى او لتاريخها المجيد . فتحتوى (البودليان) اشهر مكاتب اكسفورد على مخطوطات يدوية قديمة منها مخطوطات يدوية للشاعر شلى ومدونات بخط يد الملك ادوارد السادس والملكة الياصبات فى سن طفولتهما، كما تجد بها صورا زيتية لكبار الرسامين . وتملك كلية كريست تشرتش مجموعة نفيسة من الصور الزيتية بريشة اكابر الفنانين الانجليز مثل جينزبره وهوجارث ورينولد وعدد كبير من المناظر الطبيعية بريشة الرسام الشهير ترنر ودافيد كوكس .

وفى ختام القول اقول ان الاثر الذى تخلفه اكسفورد فى نفوس ابنائها لا ينحصر فيما يتلقونه من علم الاساتذة بل ان هذا التاريخ الذى ذكرت شيئا عنه هو الذى يعطى المدينة سحرا يخلد فى نفوس ابنائها بعد تركهم لها .

فى وسط كل هذا، بين جمال الطبيعة الذى يحيط باكسفورد من كل ناحية وهذا التاريخ الشيق الذى تنطق به مبانيها الرائعة وفى انحاء متاحفها التى تجمع تلك الدرر الفنية، عرفت لاول مرة قيمة العلم الحقيقية او قيمة الدرس والتحصيل من اجل العلم وحده لا لغرض اجتياز امتحان او الحصول على شهادة ما . كان هذا اسمى واجل درس تعلمته من اكسفورد .

في مكتبتنا

بقلم المحرر

لا شك ان من اعظم دواعى الامل والثقة انه رغم ظروف الحرب الحاضرة والعجز الظاهر فى كميات ورق الطباعة لا يزال سيل المطبوعات والكتب يتدفق من دور الطباعة العربية فى مختلف انحاء العالم ولا نزال نتلقى فى مكتبتنا بلندن من اصدقائنا سواء من الشرق او الغرب نسخا من احدث الكتب . وسنخصص ان شاء الله بعض اعمدتنا من وقت لآخر لتقديم بعض نماذج من احدث المطبوعات حتى يظل قراؤنا فى كل بلد على الىام بتقدم حركة نهضة الآداب العربية . ونرجو المؤلفين والناشرين الذين يودون ذكر كتبهم فى مجلتنا ان يتفضلوا بمعاونتنا لتحقيق هذه الغاية . وسنقصر المقال الاول من هذه المجموعة على الكلام عن بعض الكتب والنشرات الممتازة التى وصلتنا من مصر حديثا .

لا شك ان جماهير المعجبين بالدكتور محمد حسين هيكل باشا الذين تتبعوا عمله الناجح فى سبيل الآداب العربية خلال ثلاثين عاما يرحبون بظهور احدث كتاب له وعنوانه «الصديق ابو بكر» — مطبعة مصر سنة ١٣٦١ (٤٠٨ ص) — وقد تابع فيه المؤلف دراسة تاريخ الاسلام التى بدأها بكتابه المسمى «حياة محمد» سنة ١٩٣٥ . وقد تحدث الكاتب فى هذا المؤلف الجديد الذى طبع باناقة على ورق جيد عن حياة اول الخلفاء الراشدين وذلك فى «تقديم» وثمانية عشر فصلا وخاتمة . وقد رجع المؤلف فى ابحاثه الى مصادر عربية وانجليزية وفرنسية استقى منها دراسته الممتازة التى تعد مثلا فى وضوح العرض وجمال الاسلوب . ونحن نرجو ان يثابر سعادته على عمله العظيم وان يتحفنا بحلقة اخرى من سلسلة دراساته التاريخية فى شكل دراسة حياة عمر بن الخطاب .

وقد كان من دواعى سرورنا العظيم كذلك ان تصلنا مجموعة شعرية اخرى من قلم الكاتب النابه عباس محمود العقاد وهى آخر مجموعاته التى اسماها «اعاصير مغرب» – المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٦١ (١٨٠ ص) – وهى تحتوى على اشعار عن موضوعات مختلفة كتبت خلال السنين الاخيرة . كما يسرنا ان ننشر لنفس الكاتب فى مكان آخر من هذه المجلة قصيدته «ابنا النور» وهى من مجموعته الاخرى «عابر سبيل» وذلك مع ترجمة الى الانجليزية . وسننشر فى المستقبل ان شاء الله بعض مقطوعات شعرية من اعمال هذا الشاعر العظيم . ويسرنا بنوع خاص ان نطالع من جديد فى «اعاصير مغرب» قصيدة «الى المستمع العربى بلندن» التى كتبها الكاتب فى بدء السنة الثانية لزميلتنا المستمع العربى التى دخلت الآن العام الرابع من حياتها . ومن القطع الشعرية الجديرة بالتنويه فى هذه المجموعة المرثية الرائعة «آه من التراب» التى كتبها الشاعر عباس العقاد بمناسبة وفاة الآنسة مى زيادة ومطلعها :

اين فى المحفل «مى» يا صحاب
عودتنا هاهنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب
مستجيب حين يدعى مستجاب
اين فى المحفل «مى» يا صحاب

وقد سرنا كثيرا ان يعود صديق قديم قد امتعنا فى الماضى بكتاباته عن الآداب العربية والفارسية الى اتحافنا من جديد بمجلد من مقالات ومنظومات اذ عاد الدكتور عبد الوهاب عزام فى كتابه الاخير «الاوابد» – مطبعة المعارف سنة ١٣٦١ (٢٠٢ ص) – الى الافصاح عن مزاياه النبيلة العقلية والروحية. وكتاب «الاوابد» مليء بالحكمة والجمال والورع ولا شك انه سيأخذ مكانا عاليا ضمن كتب الآداب العربية . هذا وقد نشرنا فى صحيفة اخرى القصيدة الجميلة «اروع الاشياء» من مجموعة

«الاوابد» ومعها ترجمة انجليزية. ولا شك ان القراء الانجليز سيسرهم بنوع خاص مطالعة القطعة الجميلة «على بحيرة وندرمير» التى كتبت فى عام ١٩٢٦ اثناء زيارة الكاتب لمقاطعة كامبرلاند وجبالها وبحيراتها .

ومما يتفق مع الظروف الحاضرة التى اشتهرت باعمال البطولة التى قام بها القاتلون من ابناء الامم المتحدة دفاعا عن الحرية والعدالة نشر كتاب «قصص فى البطولة والوطنية» بقلم الاستاذ محمد عطية الابراشى — مطبعة المعارف سنة ١٩٣٩ (١٥٠ ص) . وهو مشكول بحركاته ويعد مثاليا فى نوعه من حيث صلاحيته لمطالعة الاولاد والبنات . وقد تحدث الكاتب فيمن تحدث عن بطولتهم عن جورج واشينجطون وابراهام لينكولن والدوق اوف ولينجتون وثيسيوس . ونحن نقترح كموضوع لكتاب آخر قد يقوم به هذا الكاتب القدير وضع سلسلة اخرى من اعمال ابطال الاسلام لمطالعة الاطفال ايضا .

ومن الكتب الجديرة بمطالعة رجال التربية لارتباطه بموضوع عظيم الاهمية فيما يتعلق بمستقبل كل بلد كتاب «الشخصية الناجعة» — مطبعة المجلة الجديدة (١٤٨ ص) — وهو احدث كتاب للاستاذ سلامة موسى وفيه حلل الكاتب عوامل تكوين الشخصية الكاملة التامة وهو كتاب مليء بالحكمة والنصيحة العملية .

ولكى نختم هذا الاستعراض المختصر للمطبوعات الحديثة بطريقة طريفة يجب ان نشير الى كتاب يثير اللذة والشغف وعلى الاخص فى هذه الايام وهو كتاب «الطابور الاول» من تأليف احمد الصاوى محمد — مطبعة المعارف سنة ١٩٤٢ (١٨٤ ص) — وهو كتاب انيق الطبع الى حد كبير وغلافه ملفت للنظر ويقص احاديث ومخاطرات لمشاهير الجواسيس وما اعد من الوسائل لمكافحة اعمالهم . وقليل من الناس من يستطيع مقاومة الرغبة فى اقتناء هذا الكتاب الممتع .



نعتزم ان ننشر من وقت لآخر مختارات من الشعر المعاصر العربي والانكليزي مصحوبة بترجمتها بالانكليزية والعربية. ويسرنا ان ندعو قراءنا من ابناء العروبة لمعاونتنا فى هذا الشأن بارسال ترجمة عربية للشعر الانجليزى المعاصر.

* * *

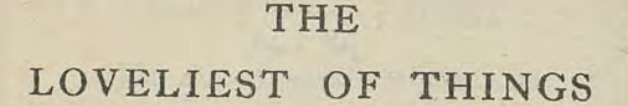
أروع الأشياء

أتذكرين يوم جئت حيرى ... سائلة : ما أروع الأشياء
أتذكرين حيرتى وأنى ... طوفت فى الأرض وفى السماء
ثم انثنيت واللسان عى ... يعثر بين العجز والحياء

* * *

أتذكرين بعد ذاك يوما ... أسلمك الحزن الى البكاء
ترقرقت فيه الدموع تترى ... لألاءة فى خدك الوضاء
هذى الدموع، لاعراك حزن ... اوحت لقلبى أصدق الايحاء
أروع شئ فى الورى دموع ... فى مقلة الحزينة الحسناء

عبد الوهاب عزام : الأوابد ص ٦٧



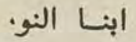
THE
LOVELIEST OF THINGS

Do you recall the day you came,
Perplexed, a question on your tongue?
"What is the loveliest of things?"
O hardest of all questionings!
Do you remember how I gazed
About the world, and then, amazed,
I turned to you, and dumbly hung
My head in silent, helpless shame?

And do you recollect again
The day grief gave you o'er to tears?
And as I watched the brignt drops roll
Upon your glistening cheek, my soul
Suddenly saw revealed most true
(May sorrow spare you) and I knew:
The loveliest thing to man appears
When lovely woman weeps in pain.

ABDULWAHHAB AZZAM.

A.J.A.



الزهر يخاطب الجوهر

يا جوهر الحسن لا تضعني — لديك بالموضع المهان

فالزهر والجوهر المصفى — صنوان فى النور توأمان

أشعة النور فى يدينا — وديعة او وديعتان

لكننا بيننا اختلفنا — يا جوهر الحسن فى الصيان

تصونها أنت من بعيد — بالسيف والرمح والسنان

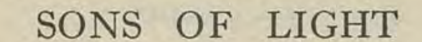
ولم تزل فى يدى كنزا — يصان بالعطف والحنان

ومعدن النور فىّ حى — وفيك معنى الحياة فان

فيا زمانا بلا حياة — انى حياة بلا زمان

كل له من أبيه حظ — ونحن بالحظ راضيان

عباس محمود العقاد : عابر السبيل ص ١١٨



SONS OF LIGHT

The Flower speaks to the Gem

I prithee, gem of loveliness,
Look not on me with proud disdain :
The selfsame radiance bathes us twain,
My light than thine is no whit less.

We hold this gleam within our grip,
A sacred trust for both to keep ;
Yet herein lies the difference deep--
The manner of our guardianship.

Thy light thou guardest from afar,
With sword and lance and glittering spear;
I hold my treasure very near ;
Affection, love, my weapons are.

In me the precious vein of light
Burns with a fierce vitality :
The radiance that shines in thee
Draws not from life its lustre bright

Thy lot is time inanimate,
My portion, life with little age ;
So fate assigns our heritage,
And we are satisfied with fate.

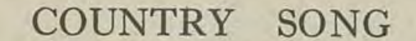
ABBAS MAHMUD EL-AQQAD.

A.J.A.

اغنية ريفية

اذا داعب الماء ظل الشجر ... وغازلت السحب ضوء القمر
ورددت الطير انفاسها ... خوافق بين الندى والزهر
وناحت مطوقة بالهوى ... تناجي الهديل وتشكو القدر
ومر على النهر ثغر النسيم ... يقبل كل شراع عبر
وأطلعت الأرض من ليلها ... مفاتن مختلفات الصور
هنالك صفصافة فى الدجى ... كأن الظلام بها ما شعر
أخذت مكانى فى ظلها ... شريد الفؤاد كئيب النظر
أمر بعينى خلال السماء ... وأطرق مستغرقا فى الفكر
أطالع وجهك تحت النخيل ... وأسمع صوتك عند النهر
الى أن يمل الدجى وحشتى ... وتشكو الكآبة منى الضجر
وتعجب من حيرتى الكائنات ... وتشفق منى نجوم السحر
فأمضى لأرجع مستشرفا ... لقاءك فى الموعد المنتظر

على محمود طه : الملاح التائه ص ٤٤–٤٥



COUNTRY SONG

When the river sports with the trees' shade,
and the clouds flirt with the moon,
And song-birds pant their throbbing
breath betwixt the dew and the bloom,
When the ring-dove mourns her sad love,
and of cruel fate doth croon,
And the breeze brushes the stream's brow
and kisses the sail-spread boom;

When the night-bound earth to wondering
eye a myriad charms displays,
In the deep gloom stands a willow-tree,
unknown to the gathered shade.
And there with vagabond heart I sit, and
stare with downcast gaze,
Or lift my sight to the far sky, and the
stars' slow cavalcade.

I watch your face 'neath the palm's fronds,
and hear your voice by the stream,
Till my sadness wearies the gloom's self,
and sorrow protests of my pain,
And creation marvels at my distress, and in
pity the dawn stars gleam;
Then I rise and go, for the time comes
when we shall meet again.

ALI MAHMUD TAHA.

A.J.A.

الشاشة البيضاء

بقلم ت. ه مينارد

قد مرت صناعة السينما بعد ان اخترعت السينما الناطقة منذ اثنى عشر عاما بمرحلة انقلابية . فقد نشأت فيها بين ضحية وعشاها صناعة جديدة . وقليل من الناس من ادرك حينذاك قيمة هذا الاكتشاف الجديد وما ينتظره فيه من دنيا جديدة . وقد اقتصرت صناعة السينما الناطقة عند اول انشائها واثناء انصراف مصانعها الى اعداد نفسها لهذه الصناعة الجديدة وما يلزمها من ادوات على تصوير مناظر الاستعراض الموسيقية . ولكن تحول الامر بعد ذلك الى صناعة كبيرة جدية دخلتها اساليب جديدة فى العرض والتمثيل واستخدم فيها كثير من اصحاب المواهب الفنية العالية واقبل كبار الكتاب على اخراج مؤلفاتهم فى صورة اكثر حيوية كما شمل التغيير طريقة التمثيل وفن الممثلين انفسهم .

والسينما تقدم للجميع انواعا مختلفة من التسلية والترويح عن النفس اذ هى تقوم بعرض مناظر الطبيعة الجميلة وفنون الشرق والغرب وشعوب العالم وتقدمها لمن لا يستطيع السفر وتقدم كذلك مختلف الروايات وفيها جميعا نوع من المغزى والفكر . ومنذ ان حلت الاشرطة السينمائية الملونة اصبحت السينما متعة للجميع ومثارا لعناية هؤلاء الذين يشتغلون فى هذه الصناعة . ولا شك ان السينما قد رفعت مستوى حياة الرجل العادى والمرأة العادية اذ ادخلت فى اذهانهم صورا ومذاهب جديدة فى فنون العمارة والاثاث والملبس كما انها ولدت طرقا جديدة للحديث . ومع ان التغيير فى مناحى الحياة بتأثير السينما قد حدث تدريجيا الا انه يمكن القول بلا شك ان السينما قد تركت اثرها فى حياتنا اليومية وكل ما يتصل بها .



[...]ناعة فيلم بريطانى . المخرج يرشد الممثلين بينما ينتظر المصور لالتقاط المنظر [...]لاخير .

ويتم تصوير الحوادث الهامة بسهولة فى اماكن مختلفة ثم ترسل الى اقصى نواحى الكرة الارضية فى اقصر وقت ممكن . وهذه الحوادث الهامة تكون اقرب الى الواقع بلا شك وهى معروضة على الشاشة البيضاء منها عند نشرها فى الصحف السيارة . والمثل الصينى القديم يقول «ان قيمة الصورة تقدر بعشرة آلاف كلمة » هو بلا شك قول يصح اليوم تماما . وقد انتشر بتأثير السينما فى جميع انحاء العالم نوع من التسامح بالنسبة للغير وعاداتهم وتقاليدهم وآرائهم وذاع تبادل الافكار واساليب المعيشة مما كان يستحيل تحقيقه بغير واسطة الافلام السينمائية .

والسينما اليوم من اكبر اسباب التسلية والترويح عن النفس وهى شاملة لكل ما يشبع نواحى النفس البشرية ومشاعرها . ومع ان اغلبية الناس تحيى حياة منعزلة هادئة فانهم يقصدون السينما لانها تنتقل



احد المدافع البريطانية من عيار ٢٥ رطل اثناء انطلاقه . والصورة من فيلم «انتصار الصحراء» .

بهم عن طريق التصور والخيال الى عالم جديد وبذلك يغادرونها وقد اتسعت نظرتهم الى غيرهم من الاجناس البشرية فاصبحت اكثر هدوءا وتعقلا وتسامحا . والسينما عظيمة النفع كذلك من الناحية الثقافية والتعليمية لانها تساعدنا على ادراك النواحى الصالحة فى الآخرين كما ان الافلام التعليمية هى بلا شك اكثر مساعدة للطالب فى المصانع ومراكز التدريب من المعلم نفسه وهى عظيمة النفع بالنسبة للطفل ايضا لانه بطبيعة الحال يستطيع ادراك الدرس من الشريط السينمائى اسرع مما لو كان فى قاعة الدرس لانه يجد متعة وتسلية فى مشاهدة الفلم .

واليوم قد اضطر كثير من شركات الافلام السينمائية الى العدول عن اخراج كثير من الافلام التى كانت تنوى اخراجها واضطرت الى استبدالها باعمال اخرى اكثر اهمية وهى الافلام الخاصة بالحرب الحاضرة فاصبحت السينما الاخبارية تعرض سيلا من الحوادث التى وقعت فى

مختلف انحاء العالم . وآلة التصوير لها قيمتها ومنفعتها التى لا تقدر الى درجة انها تستعمل الآن فى كثير من طائرات القتال البريطانية التى جهزت بآلات التصوير مهمتها ان تصور الوقائع الجوية كما حدثت تماما ، كما ان قاذفات القنابل تستعمل آلات التصوير لاعمال الاستكشاف ولكل من الجيش البريطانى والبحرية الملكية البريطانية مصورون سينمائيون . وجميع هذه الصور الحية الواقعية تؤخذ ثم تعرض فيستطيع الرجل العادى والمرأة العادية مشاهدة حوادث الحرب الواقعية بينما يستعمل الجندى والبحار والطيار السينما كوسيلة للارشاد والتعليم .

وقد ادرك النازى بسرعة مزايا الفلم السينمائى كوسيلة للدعاية فاغرقوا البلاد المحايدة بسيل من الافلام التى تعرض فظائعهم واساليب التدمير البهيمية التى اتبعتها قواتهم فى البلاد التى غزوها وذلك رغبة منهم فى ارهاب المتفرج المحايد . ولكن النتيجة كانت لسوء حظهم على عكس ما كانوا يرمون اليه لان هذه الافلام قوبلت فى كثير من انحاء العالم بوابل من السخط والاعتراض ورفضت دور السينما عرض افلام الدعاية الالمانية . ولم يسمح وزير الدعاية الالمانية الماكر الدكتور جوبلز بظهور منظر لاى جندى المانى مقتول فى اى فلم من هذه الافلام رغم الحقيقة المعروفة من ان مئات الالوف من جنود الالمان قد فقدوا حياتهم بميادين القتال فى سبيل تحقيق رغبتهم الجنونية فى سيادة العالم . ومع ذلك فقد عرضت هذه الافلام جثث المدنيين من رجال ونساء واطفال قد فتكت بهم وشوهتهم مدافع الجنود الالمانية وقنابلهم . وهذه الوحشية من شأنها ولا شك ان تحرك الارادة وتثير العزيمة وقد كان من اثرها فعلا اثارة البغضاء والاحتقار لهذا الجنس العابد للقتل والدماء بدلا من اثارة الخوف والوجل .

اما البريطانيون وهم سادة الافلام الاخبارية بلا منازع فقد عرضوا قضيتهم على العالم بغير ضجيج الطبول وقرعها ولكن ببساطة وصراحة فعرضوا افلاما تمثل البريطانيين رجالا ونساء وهم يقومون باعمالهم

العادية فى ظروف الحرب كما عرضوا مناظر مدينة لندن اثناء الغارات الجوية الشديدة التى لحقت بها وفيها اشتهر اشخاص عاديون كابطال نظرا لما ابدوه من الثقة والهدوء والتفانى فى الواجب وكذلك عرضوا مناظر العمال من الرجال والنساء وهم يشتغلون فى المصانع الحربية وصورا تمثل المجهودات الحربية فى استراليا وجنوب افريقيا والهند ومناظر تمرين الرجال الذين جندوا للعمل فى سلاح الطيران الملكى ومرنوا فى كندا تنفيذا لمشروع تمرين الشباب على الطيران فى اجزاء الامبراطورية كما عرضت فلما ممتازا يمثل غارة واقعية على المانيا قامت بها قاذفات القنابل التابعة لسلاح الطيران الملكى .

وقد تم عرض هذا الفلم ببساطة تمثل الحقيقة المجردة للعمل الصارم الحازم الذى يقوم به سلاح الطيران الملكى من تدمير مراكز المانيا الحربية . وهو عمل يطرد نموا مع الزمن ويزداد شدة وقسوة . وقام رجال سلاح الطيران الملكى وحدهم بعملية التصوير فى هذا الفلم وهم رجال لا يعدون مثل هذه العمليات الحربية اكثر من نزهة يقومون بها وعلى افواههم ابتسامة عريضة على انهم يعلمون انهم يقاتلون وينتصرون على عدو يزيد فى فظاعته ووحشيته عن اتيلا زعيم قبائل الهون . وقد اكتسب هذا الفلم الذى عرف باسم «هدف الليلة» اعجاب العالم لبساطته ودقة تصويره للواقع وعد من اعظم نماذج الافلام الاخبارية . وقد تلاه فلم آخر من روائع الافلام التى تمثل نشاط سلاح الطيران الملكى وهو فلم « القيادة الساحلية » الذى يبين كيف يقوم سلاح الطيران الملكى بمراقبة طرق البحار وحراسة السفن المحملة بالواردات القيمة الى بريطانيا .

ومن الافلام الاخبارية فلم آخر يمثل رجالا كانوا قبل الحرب مجرد صيادين للاسماك ولكنهم الآن يساعدون فى المحافظة على سلامة الطرق البحرية وقد سمى هذا الفلم «رجال البحرية التجارية» وهو يبين كيف يقذف هؤلاء الرجال بالطوربيد دون تحذير او اخطار ودون ان يمهلوا



نظر من الفيلم البريطانى «القيادة الساحلية» يرى فيه الملاح بالطائرة
ائية من طرا: «سندرلند» .

ليتدبروا طريق النجاة وذلك اثناء قيامهم بالعمل الذى يرمى الى تنشيط
البادلات التجارية بين الشعوب . ومع ذلك فلا يلبثون بمجرد عودتهم
الى انجلترا ان يلتحقوا بسفن غيرها ويعودوا مرة اخرى لمجابهة ليس اخطار
البحر فقط بل كذلك اخطار الغواصات الالمانية الغادرة الحائمة فى المحيطات
التى تلقى فى الكثير من الاحيان جزاءها العادل ككل غادر فلا تلبث
ان يطويها قاع البحر .

تلك هى امثلة قليلة جدا لهذه النماذج العظيمة من الافلام الاخبارية مما
تم اخراجه ولا يزال فى طريق الاخراج وكلها تلقى اعجاب العالم اجمع لانها
تمثل الرجال المسالمين والنساء المسالمات الذين انصرفوا بحكم ظروف الحرب

عن اعمالهم العادية الى الاعمال الحربية، وكذلك الافلام التى تعرض اعمال القوات البريطانية الثلاث . واليوم تعرض دور السينما من هذا النوع اهم هذه الافلام واعظمها وهو الفلم المعروف باسم «انتصار الصحراء» الذى يبين انكسار الجيش الالمانى الذى طورد مسافة ١٥٠٠ ميل من مصر الى حدود تونس .

ولا شك ان صناعة السينما هى احد الفنون الجميلة التى نمت وستنمو مع مرور الايام لان كل فلم جديد يجب الا يقل قوة عن سابقه ان لم يفقه . ومهما كان التمثيل متقنا فى الافلام الروائية الا ان افلام السينما الاخبارية لها دائما الافضلية فى تقدير الذوق العام لانها تعرض الرجال والنساء فى حياتهم العادية اليومية لا صورا مستمدة من الخيال وتصورهم مجابهين الاخطار . لذلك كانت هذه الافلام اهلا لاعجاب الجماهير وحماسها اذا وضعت فى صورة لطيفة صادقة .

والقارئ كأحد افراد الجمهور المتردد على دور السينما يستطيع ان يحكم على ذلك بنفسه اذا شاهد الطريقة البسيطة الصادقة التى يعرض بها الفلم الاخبارى الذى يصور هؤلاء الابطال المجهولين والباسلات من النساء وهم يؤدون واجبهم المتواضع فى هذا العراك العنيف . هى صور لم تكن لتعرض بهذه القوة الا عن طريق السينما . اما الدعاية النازية فطريقتها دائما ان تحاول التأثير على المتفرجين بالافلام التى تعرض قوة المانيا العظيمة وهى افلام لا تلبث بسبب التكرار الممل والمبالغة ان تفقد قوة تأثيرها. اما الفلم الاخبارى البريطانى فهو دائما صورة بسيطة صادقة للواقع فلذلك يترك اثرا باقيا فى اذهان المتفرجين .

والمتفرجون دائما هم الحكم الاول والاخير على نجاح الافلام . وقد اثبتت الافلام الاخبارية البريطانية ان شركات السينما البريطانية قد اسست لنفسها سمعة لا تبارى لانها تقدم الحقائق وتعرضها على الجماهير سواء أكانت مرة مؤلمة ام مرحة مسلية ومثل هذه الافلام هى محل ترحيب دور السينما فى العالم اجمع .

روذرفورد الانقلابى

اكبر علماء الطبيعة فى القرن العشرين بقلم ايفور ب. ن. ايفانز

ولد من ٧١ عاما مضت فى كوخ خشبى وسط غابات نيوزيلندا الكثيفة ابن رابع لجيمس روذرفورد احد كبار زارعى القنب فى بلاده. ولم يخطر ببال روذرفورد حينئذ ان رأس ولده الصغير قد حوى ذهنا كتب له ان يقلب نظريات علم الطبيعة التى عرفت منذ مائة سنة، وهو الذهن الذى قدر له ان يثبت ان الطبيعة هى اكبر العوامل الكيمياوية كلها وهى التى تحول الراديوم الى الرصاص وتحطم الذرة فتولد من عنصر عنصرين.

على ان هذا الغلام ايرنست روذرفورد الذى يعد اسمه اليوم بين الاعلام مثل اسم اسحاق نيوتن وكلارك ماكسويل وميشل فاراداى يكون لم يكن طفلا خارقا للعادة. وقد قضى وقته يمرح بين شواطئ نيوزيلندا وسهولها وانهارها وجبالها وغاباتها تحركه فى ذلك رغبة ملهمة فى معرفة كل ما يتصل بالعناصر الطبيعية وقواها المتفاعلة.

وقد اشتغل كثيرا ولعب كثيرا حتى قبل عهد بدء دراسته وكان تلميذا مجدا فى مدرسته كما كان ذهنه دائم الاستقصاء والتحرى وذا موهبة كبيرة على تركيز ملكاته مما ساعد على نجاحه الدراسى. وتمكن بفضل حكمة وعدالة نظام التعليم المجانى الجديد الذى اسسه اهالى نيوزيلندا المتنورون من نحو ٧٠ عاما ان يستفيد بفرصة التعلم كل الاستفادة وكان هذا النظام افضل من انظمة تعليم اوروبا المعاصرة وذلك فى بلاد لم تكد تخرج من حال الطفولة.

وكان روذرفورد موفقا فى اساتذته الذين تركوا له بكل حكمة الحرية الكاملة فى ان يتابع تفكيره وابحاثه حتى يصل الى النتائج التى يراها

على طريقته الخاصة . كما انهم فى الوقت نفسه لاحظوا نموه العقلى وسايروه بالطريقة التى تضمن له النجاح .

وقد فاز دائما فى امتحاناته بلا صعوبة بينما احرز كثيرا من الجوائز فى الرياضيات والتاريخ واللغتين الانجليزية واللاتينية . وكان مع ذلك يلعب كرة القدم ممتازا فى كثير من الالعاب الرياضية ماهرا فى اطلاق النار. وكان دائم العمل على تنمية مواهبه الفكرية فى ثبات واتزان .

وقد تقدم فى عامه الدراسى الاخير لمسابقة مدرسية يعطيه نجاحه فيها الحق فى مجانية التعليم فى الجامعة ثم قضى بعض الوقت فى مزرعة والده انتظارا للنتيجة .

وفى صباح احد الايام بينما كان يعمل على جمع البطاطس من الارض خرجت والدته من المنزل مسرعة وهى تصيح : «لقد احرزتها !» فسألها عما كانت تقصده . ثم ادرك للفور انها كانت ولا شك تقصد المسابقة الدراسية فالقى بفأسه على الارض قائلا : «تلك آخر حبة من البطاطس استخرجتها من الارض . »

وكان فوزه فى المسابقة للالتحاق المجانى بكلية كانتيربرى اول مدارج مستقبله . وقد كان من المحتمل ان يكون مزارعا لولا هذه المسابقة الدراسية .

واخيرا فاز هذا الطالب الصريح البسيط فى عاداته المحبب الى اخوانه الذى كان يعشق رياضة المشى والمناقشات العلمية باجازته الجامعية فى الرياضيات وانتهى من تمرينه الجامعى ثم بدأ يستعد لشهادة الاستاذية فى الرياضيات. وهذه اقتضت منه بدء العمل فى بحث علمى جديد .

وبدأ روذرفورد عمله فى الامواج اللاسلكية ولم يكن يعرف عنها اذ ذاك الا القليل، فى غرفة صغيرة تحت سطح الارض حيث يعلق الطلبة ارديتهم الجامعية فوفق الى صنع جهاز عجيب دقيق للالتقاط المغناطيسى . اعده من ابرة وسلك سميك ومقياس كهربائى . وتمكن بذلك من التقاط الاشارات

اللاسلكية على اكثر من مسافة ٦٠ ياردة وعد ذلك فى عام ١٨٩٣ نجاحا كبيرا . ثم نشر ابحاثه وحصل فى عام ١٨٩٤ على الدرجة الاولى الممتازة فى الطبيعة والرياضيات، وكانت هى التى مهدت له الطريق الى معامل كافينديش فى كمبردج مركز العلوم الطبيعية فى العالم اجمع، ومعها جائزة جامعية اسست عام ١٨٥١ .

وفى هذا العام كان المشرفون على معامل كافينديش تحت رئاسة السير ج. ج. طومسون اكبر علماء الطبيعة فى انجلترا وقتئذ قد فتحوا ابواب معاملهم لخريجى الجامعات الاخرى. وكان روذرفورد اول من استفاد منهم بذلك.

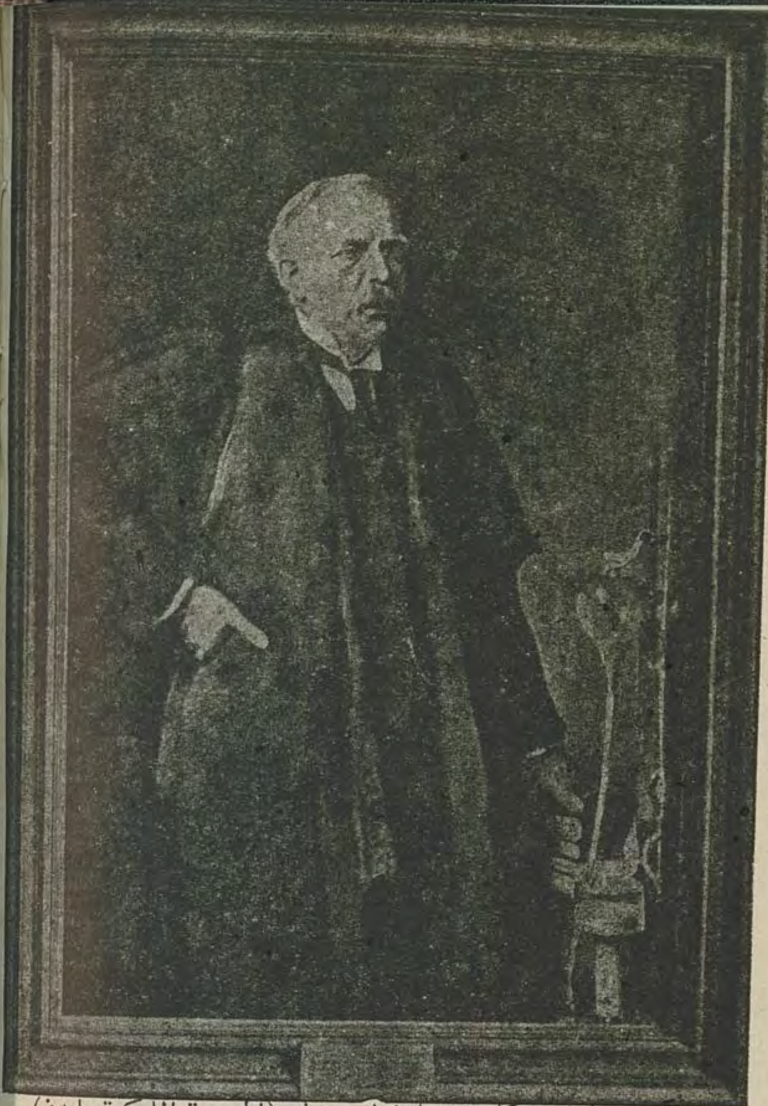
ولم يلبث الشاب النافر الخجول ذو الارادة القوية والعقل الجبار ان تغلب على كل من حاول العبث به باسئلته البسيطة المفحمة التى كان يوجهها اليهم فاخذ الجميع يشيرون اليه وهم يقولون «هذا ارنب من نيوزيلندا يعرف كيف يحفر جحره فى الاعماق » .

ولم يلبث روذرفورد ان اعجب بحماس طومسون ولطفه واستمر فى ابحاثه اللاسلكية حتى تمكن من التقاط الاشارات على بعد ميلين وكان هذا رقما قياسيا فى ذلك الوقت .

ومن حسن حظ ماركونى ان روذرفورد اعتزل العمل فى اللاسلكى بعد ان اكمل جهازه فى التقاط الاشارات اللاسلكية وبدأ يساعد طومسون فى تجاربه التى انتهت بان اعلن طومسون وجود «الاليكترون » وهى ذرة كهربائية سالبة تبلغ $\frac{١٨}{١٠٠}$ من ذرة الهيدروجين توصل الكهربائية السالبة خلال الغازات والمعادن .

فقد كانت الحوادث تتعاقب بسرعة فى ابحاث العلوم فى اواخر القرن التاسع عشر. وكانت اشعة اكس وشعاع اليورانيوم الفعال والراديوم واشعتها الغريبة ظواهر غير عادية حينئذ تثير الحيرة بما لا يمكن ان يقاس اليه النظرية الميكانيكية الحديثة عن المادة وانقسامها الى ذرات جامدة مدورة .

واستغرق روذرفورد الشاب فى تحليل هذه الظواهر المزدحمة فقسم اولا



اللورد رودرفورد كما رسمه اوزولد بيرلى (الجمعية الملكية بلندن).

الاشعة التى يشعها اليورانيوم الى الاشعة التى رمز اليها بحرف «الالف»
والاشعة التى رمز اليها بحرف «الباء». اما الاشعة التى رمز اليها بحرف
«الجيم» فقد اكتشفها فيلارد بعد ذلك بعامين.

وبينما كان روذفورد على وشك ان يفتح بابحاثه عالما جديدا مليئا بالاحتمالات اختاره طومسون من بين ٢٥ مرشحا لان يكون وهو فى سن الثامنة والعشرين استاذا للطبيعة فى جامعة ماكجيل بكندا .

وبمجرد ان وصل الى كندا بادر الى تنظيم قسمه باكمله وتركيزه فى ابحاث عوامل الراديوم ثم واصل ابحاثه متجردا من كل غرض آخر واخذ يذلل بكل مثابرة المسألة بعد الاخرى . وكانت طريقته دائما ان يركز اجتهاده فى مسألة يتعمد محاولة حلها مباشرة وان يتجه الى هذا الحل حتى ولو كشفت له ابحاثه عن احتمالات اخرى رافضا دائما ان يميل الى اية جهة او ان يشعب بحثه مهما كانت ظواهر الاحتمال الجديد جاذبة مغرية وكانت طريقته بسيطة كأجهزته . وقد تمكن بعبقريته التى جمع اليها معلوماته عن الطبيعة، وهى معلومات كانت توحى اليه دائما باسلم الاتجاهات، ان يجعل ابسط النظريات قادرة على شرح وتفسير اعقد المسائل واكثرها اشكالا . وكان يقول دائما لتلاميذه : «ان المطلوب لتحقيق التقدم والنجاح هو ليس النظريات التى يبدو عليها الاجتهاد والمهارة او الافكار الغارقة فى التصور عن الطبيعة ولكن القدرة فى معرفة ما يمكن ان يعبر عنه بفكرة الخالق فى الطبيعة » .

وفى عام ١٩٠٠ سافر الى كندا للعمل مع روذرفورد شاب من خريجى جامعة اكسفورد فى الطبيعة اسمه سودى . وبالاشتراك مع روذرفورد صوب ذرات اشعة «الف» الى اهداف وتبين لهما من ذلك كيف ان اليورانيوم والراديوم تتفرع عنهما عناصر اخرى ذوات عوامل الراديوم وفى سنة ١٩٠٢ تمكنا من ان يقضيا نهائيا على النظرية التى كان الجميع يسلم بها حينئذ وهى ان العنصر لا يزول . وكانت نظريتهما بكل بساطة «ان ذرات العناصر ذوات عوامل الراديوم هى دائمة التغيير والفناء» وان الراديوم يتحول فى النهاية الى رصاص .

وبين عام ١٨٩٩ الى عام ١٩٠٧ نشر روذرفورد وتلاميذه مئات الابحاث العظيمة فيها جمع وتوضيح وتنظيم عوامل الراديوم .

وفى عام ١٩٠٧ عاد روذرفورد الى انجلترا استاذا للطبيعة فى جامعة مانشستر حيث واصل ابحاثه . وكان منها ان صوب ذرات اشعة «الف» المنبعثة من الراديوم الى لوحة من الالومنيوم فلاحظ يوما ان بعض الذرات قد تخلفت فى الانبوبة على خلاف المفروض . فادرك من ذلك انه لا بد لحصول هذه الظاهرة ان تكون ذرتان قد جمعها مكان واحد فى نفس الوقت . واستمر فى عمله يشق طريقه بمهارة حتى اعلن ان الذرة هى عبارة عن مجموعة شمسية مصغرة تتركب من نواة مثقلة بالكهربائية الموجبة تدور فى فلكها اجسام سالبة . وبذلك يكون قد نظر الى صميم الذرة مباشرة وشاهد ما بها ثم كشفه للعالم اجمع . فلم يكن جسم الذرة الجامد المدور كما فرضه نظرية دالتون، الا فراغا يحتوى على مادة قليلة.

وقد بنى نيلز بوهر على نماذج ذرة روذرفورد نظرياته الرياضية بعد ان قضى ثمانية اسابيع فى عمل متواصل فى مانشستر . كما ان هـ . ج . ج . موزلى الشاب الذى قتل فى الحرب العالمية الاولى قد احدث بابحاثه نظاما جديدا فى ميدان اشعة اكس .

وبذلك اصبح لايرنست روذرفورد شهرة عالمية فى العلوم وانعم عليه بلقب سير فى عام ١٩١٤ بعدما فاز بجائزة نوبل للكيمياء فى سنة ١٩٠٨ وتوالت عليه الالقاب الفخرية من مختلف الجامعات ولكنها جميعا توالت على رجل يكره الادعاء وكان المثل الاعلى فى العظمة النفسية بتواضعه وبساطته وكرمه وصداقته وحماسه وحبه للمرح والسرور . كان استاذا ملهما صاحب قدرة كبيرة على التنظيم متسامحا حر الفكر . وكان يجمع حوله الشبان المشتغلين بالابحاث العلمية فأداموا حوله جو الشباب ولم يكن ليتردد فى ان يعهد اليهم باعمال هامة اساسية وقد قال : «يبدو العالم المجهول كانه ضباب متكاثف امام اعين الانسان . ويجب لاختراق هذه الحجب ان نعتمد ليس على مساعدة الانسان المتفوق بل على جهود متحدة لجماعة من الاشخاص العاديين حصلوا على تمرين سديد ولهم كفاءة علمية» . وبذلك اصبح روذرفورد زعيم جماعة .

وقد عطلت الحرب الماضية اعماله واوقفت مدرسته فى مانشستر فاشتغل هو نفسه بادارة الابحاث الخاصة بتحديد مواقع الغواصات ووصل الى كثير من النجاح . ولكنه مع ذلك واصل ابحاثه فى ذرات «الف» فى اوقات فراغه . واعلن فى سنة ١٩١٩ انه قد تمكن بواسطتها من تفريق النيتروجين وبذلك استطاع ان يفصل جزءا من الذرة.

وفى عام ١٩١٩ ايضا اعتزل السير ج. ج. طومسون العمل فى ادارة معامل كافينديش فخلف روذرفورد استاذه العظيم .

ومع انه كان قد حقق لنفسه فعلا ثلاثة استكشافات اساسية هامة فان روذرفورد لم يكتف، كما يمكن ان يفعل رجل اقل منه مواهب فى مثل ظروفه، بالادارة وحدها واستمر فى ابحاثه فانشأ هيئة قضت العشر سنوات الاولى فى تدعيم الابحاث التى وصل اليها ووضعت اساسا لتقسيم الذرة بفضل ابحاث كوكروفت وولتون واكتشاف الاجزاء الجديدة المسماة البوزيترون والنيوترون التى تنبأ بها روذرفورد قبل ذلك بسنوات .

ولم يكن روذرفورد يهتم بالفوارق الجنسية مطلقا فقد جمع حوله فى مانشستر الرجال من جميع بقاع الارض من امريكا والصين وشيلى وتشيكوسلوفاكيا والهند والنرويج وروسيا واليابان . وكان كل ما يهمه هو قدرة الرجل على الابتكار والعمل وكان يقول : «ان التقدم فى كثير من النواحى يستلزم تعاون الشعوب كما يستلزم تعاون الافراد . والعلوم كالصناعات تتطلب حالة استقرار لم يصل اليها العالم بعد . »

واصبح هذا الرجل الكبير الخشن فى مظهره الذى كان يبدو اقرب الى الفلاح منه الى الاستاذ محبوبا بين تلاميذه وعرف بينهم فى المعمل باسم «الوالد» . وكانت قدرته على النكتة لا تقاوم وكان يقاسم الجميع نكاته كما ظل فى جميع ادوار حياته يجد لذة خاصة وعطفا خاصا فى تتبع احوال كل من اشتغلوا معه .

وقد عمل بصفته رئيسا للجمعية الملكية على انشاء معامل موند وعلى

تكليف العالم السوفيتى بيتر كابيتزا بادارتها . وكان كابيتزا قد عمل قبل ذلك ١٢ عاما واشتغل مع روذرفورد فى ابحاث هامة .

وبعد عامين لم يعد كابيتزا الى كمبردج بطلب من حكومته . وجاء ذلك فجأة، فانزعج روذرفورد من ذلك وخشى انه بسبب اوهام لا محل لها او عدم التفاهم الكامل ربما لا يستطيع كابيتزا ان يقدم للعالم خير ما عنده واخيرا هدأ باله عندما اعلنت حكومة جمهورية السوفيت ان كابيتزا قد عين مديرا لمعهد الابحاث الطبيعية الجديد .

ولم يكن روذرفورد ليتجر بابحاثه التى قدمها للعالم بلا مقابل . كما انه من ناحية اخرى لم يدخر وسعا فى العمل على تطبيق الابحاث العلمية على الحياة العادية . ويرجع الفضل فى تقدم حركة اتحاد الابحاث العلمية فى بريطانيا العظمى الى بعد نظره وعنايته واهتمامه الحار وذلك عندما كان مديرا للجنة الاستشارية لادارة الابحاث الطبيعية والصناعية . وكان يعتقد ان العلم لا بد ان يكون فى خدمة الصناعة اذا اريد للعالم ان يحيا حياة سعيدة .

وفى عام ١٩٢١ كرمته بلاده بان انعمت عليه بلقب اللوردية فاصبح لورد نيوزيلندا الاول بلقب بارون روذرفورد اوف نلسون وكمبردج كما منح فى سنة ١٩٢٥ وسام الفضل وربما كان ذلك الوسام اعظم تكريم تقدمه بريطانيا .

وقد عمل كثيرا فى سنواته الاخيرة كاول رئيس لجمعية حماية العلوم والفنون (مجلس المساعدة الجامعية سابقا) وكان عمل هذه الهيئة مساعدة العلماء والاساتذة الذين نفوا من المانيا وغيرها لاسباب سياسية وعنصرية .

وقد دعى لعضوية كثير من اللجان وللاشتراك فى كثير من الاعمال غير العلمية فى سنواته الاخيرة ولكنه تمكن من ان يجمع بين ذلك كله دون اى تعطيل لاعماله فى معامل كافينديش، وكان يقول « ان الحياة لامر عظيم ولم اكن لاستعيضه باى شىء » . وقد ظل يداوم عمله، ولم يكن ليعرف التشاؤم اذ الحياة عنده كانت طيبة

دام هناك فرصة للعمل المفيد حتى اذا انتهى من عمله استمتع بتمريناته رياضية ومطالعة كتبه وصحبة زوجته واصدقائه فى جلسة عائلية امام يران التدفئة المتقدة .

ولا شك ان جانبا كبيرا من نجاحه وسعادته فى الحياة يرجع الى حياة زمالة السعيدة الطويلة التى بدأها فى سنة ١٩٠٠ عندما تزوج زميلته الدراسة ايام صباه فى نيوزيلندا . وقد شاركت ليدى روذرفورد زوجها كل ما يهمه وادارت اعمال مكتبه وكانت له سكرتيرة عظيمة النفع . كانت حياتهما مثلا حقيقيا للتعاون الكامل والزمالة الصحيحة .

وفى يوم من ايام اكتوبر سنة ١٩٣٧ قضى نحبه ابسط الرجال واحبهم الجميع وهو رجل لم يعرف لنفسه عدوا وكان صديقا لكل من رفه وكان الاطفال يأنسون اليه بمجرد رؤيته . واسلم الروح بين راعى زوجته بعد مرض قصير وكان فى السادسة والستين من عمره .

وهكذا ذهب «شاب العلوم» الخالد الدائم العمل الذى ظل فتى بمة طول حياته ، وتركت وفاته فراغا لن يملأ فى ايامنا .

ولا شك انه كان اعظم علماء الطبيعة الذين قاموا بتجارب علمية فى بهدنا الحاضر . وقد ادرك بغريزته الطريقة الى العوامل الهامة الاساسية مكن بعظمته العقلية ان يلهم غيره وان يغير الفكر العلمى الحديث وهو ذلك لم يكن معجبا بل كان بسيطا الى حد انه قال عن نفسه فى عامه لاخير : «ان ما اعرفه بعد هذه الاعوام الطويلة من الدراسة والبحث يزيد الا قليلا عما كنت اعرفه عندما بدأت» .

* * *

هَدِيَة بريطانيا للعالم

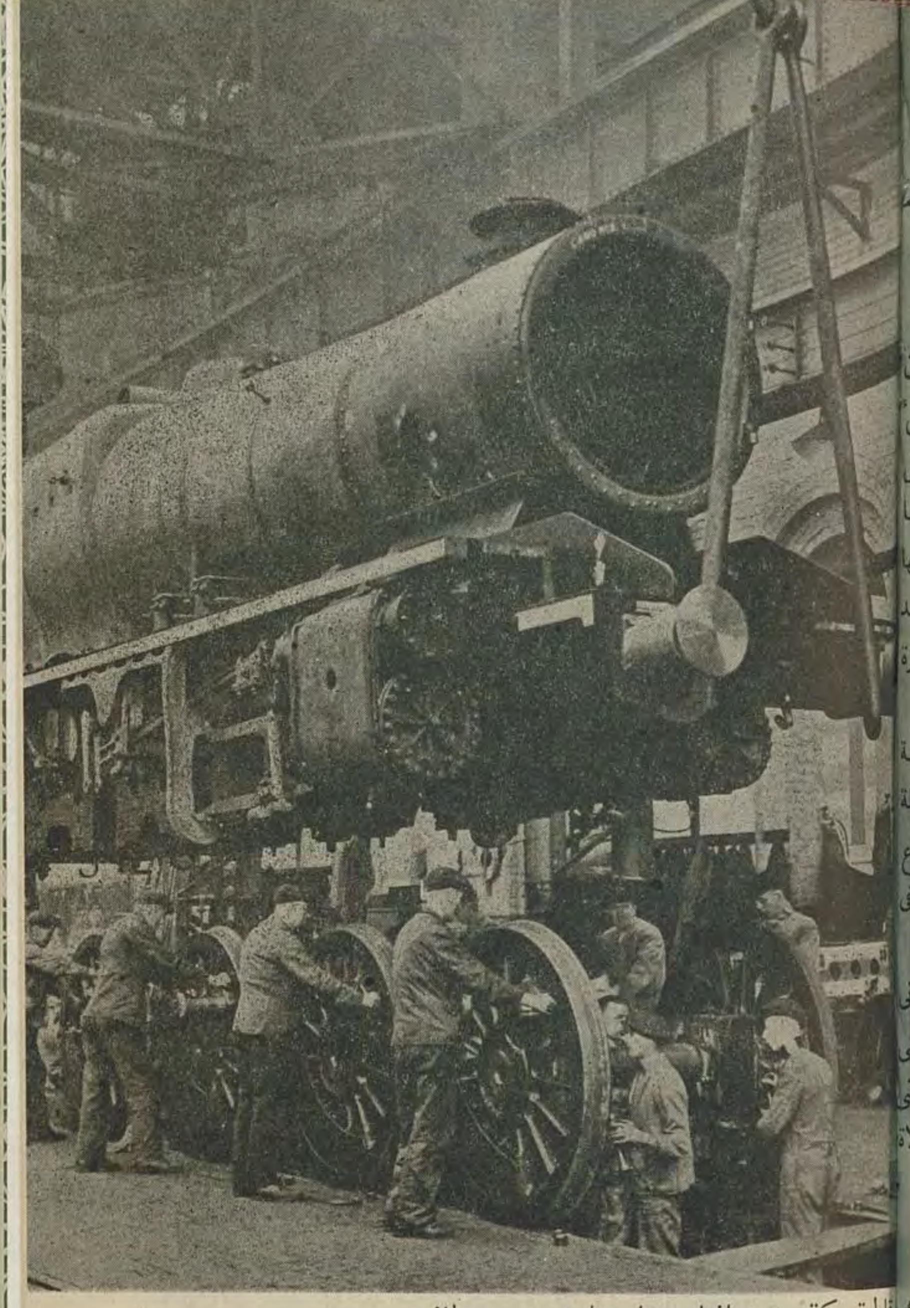
السّكك الحديدية

تفرعت ملايين الكيلومترات من اشرطة السكك الحديدية التى تكون
سكك حديد العالم الحديثة عن خط قصير يبلغ طوله ٢٤ كيلومترا انشى
بين مدينتى ستوكتون ودارلينجتون فى شمال انجلترا . اذ تحركت على
طول هذا الخط فى سنة ١٨٢٥ اول قاطرة حديدية فى العالم وكان لها
مدخنة طويلة رفيعة وقد تولى قيادتها مخترعها جورج ستيفنسون وتقدمها
فارس يحمل علما احمر تتبعه مجموعة غريبة من العربات والمركبات وقد
وقف يرقبها جمهور محتشد يخشى ان يشعل الشرر المتناثر من القاطرة
النيران فى الحقول المجاورة .

ومنذ ذلك اليوم عمدت بريطانيا — والمسافات بين انحائها المختلفة
ليست بعيدة كما ان مدنها مركزة فى ابعاد متقاربة — الى محاولة
اكتشافات جديدة وبناء سكك حديدية كثيرة والوصول بهذا الاختراع
الى حد الكمال حتى اصبحت قاطراتها السريعة اليوم تقطع كيلومترين فى
الدقيقة الواحدة .

وفى هذا المقال يعرض المستر نورمان هيلسون الصحفى اللندنى
المعروف التقدم العجيب الذى احرزته السكك الحديدية ببريطانيا وهى
البلاد التى لم تقم باختراع السكة الحديدة فقط ولكنها ايضا لا تزال حتى
اليوم البلاد التى لا تضارع فى عنايتها بالمواصلات البخارية وموالاة
البحث والتجارب فى كل ما يتصل بها .

يوجد الآن نحو ٧٥٧٠٠٠ ميل من السكك الحديدية فى العالم وهى



قاطرة سكة حديد اثناء صناعتها بمصنع بريطانى .

جميعا مدينة فى وجودها الى ١٥ ميلا من السكك الحديدية مدت فى عام ١٨٢٥ بين مدينتين بريطانيتين صناعيتين هما ستوكتون ودارلينجتون فى حوض نهر التيز .

وقد وقف جمهور حائر متشكك يراقب مهندسا اسمه جورج ستيفنسون (كان الكثيرون يعدونه شبه مجنون) وهو يصعد الى ماكينة غريبة الشكل تجر قطارا مكونا من ٣٤ عربة ويبلغ وزنها ٩٠ طنا وتسير مترنحة الى حيث تختفى عن الابصار . وقد تقدم هذا القطار فارس يحمل علما احمر حتى لا يلحق ضرر بالمتسكعين على الشريط او بالقطار وقاطرته . وكان هذا الفارس ينطلق متمهلا بحصانه حتى اذا بلغ جورج ستيفنسون مسافة من الطريق صالحة لان يسرع بقاطرته اضطر الفارس لان يركض بحصانه لان القاطرة قد اطلق لها العنان فبلغت سرعة كانت اذذاك تعد غير معقولة وهى ١٥ ميلا فى الساعة ! .

وهذه الخمسة عشر ميلا لو ان قطارات اليوم سارت على معدل اربعة امثالها لما عدت سريعة على الاطلاق بعد ان بلغت سرعة القاطرات الآن معدلا يزيد عن هذا بكثير . وقد حدث فى عام ١٩٣١ ان قطع احد قطارات السكك الحديدية التابعة لشركة سكك حديد الغرب المسافة بين سويندون وبادينجتون فى لندن وهى تبلغ ١٢٣,٦ كيلومترا فى ٥٨ دقيقة اى بمعدل ١٢٨ كيلومترا فى الساعة .

والواقع ان القطارات قد استطاعت بلوغ معدل سرعة الاكسبريسات الحديثة من نحو عام ١٨٦٠ حينما كمل تكوين القاطرة البخارية . وهى لم تكن لتصل الى هذا الكمال لولا اكتشاف آخر بريطانى هو صناعة الصلب على طريقة بسمر .

فالحضارة العالمية الحديثة اذا تدين بدين كبير الى جورج ستيفنسون المهندس وهنرى بسمر المخترع .

على ان فكرة انشاء طرق ثابتة وصالحة لتسهيل سير العربات ونقل البضائع ليست فى اصلها مرتبطة باختراع القاطرات البخارية اذ الواقع

ان طرقا خشبية كانت قد مدت فى نيوكاسل فى القرن السادس عشر ولم يحل حكم شارل الثانى (١٦٦٠—١٦٨٥) حتى كان امر هذه الطرق معروفا فى انحاء عديدة من البلاد . وفى سنة ١٧٧٠ تم صنع اول شريط حديدى بمصانع كولبروكديل .

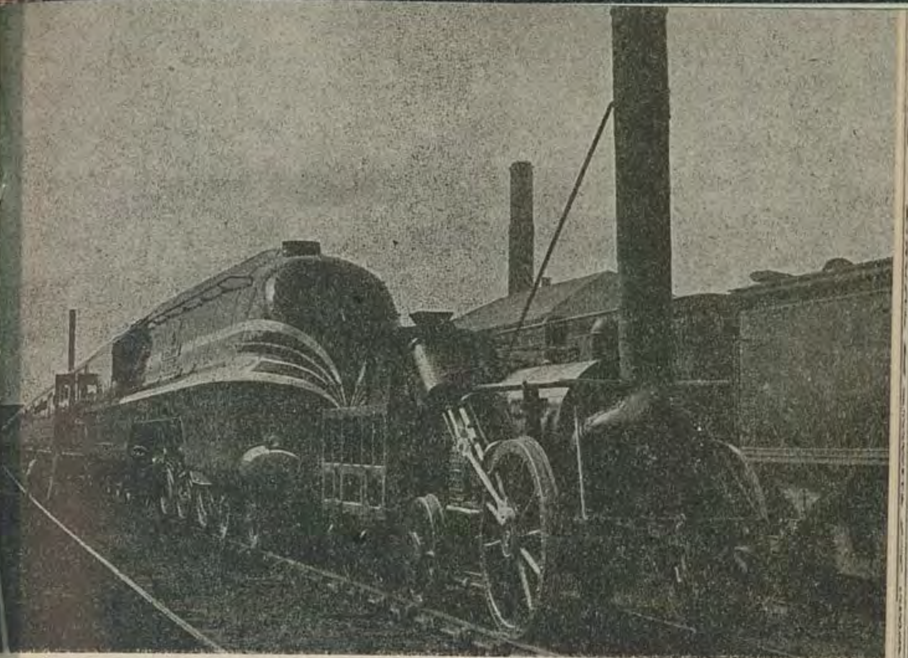
وقد استعمل ريتشارد تريفيثيك، وهو من اوائل من فكروا فى القطارات البخارية ذات الضغط العالى، طريقا ممهدا اجرى عليه تجاربه الاولى وكان ذلك فى عام ١٨٠٤ . كما ان هيدلى الذى بنى القاطرة المعروفة باسم «بافينج بيلى» فى عام ١٨١٣ استعمل طريقة اخرى مشابهة .

ولكن طريق ستوكتون دارلنجتون قد انشئ على اساس اكثر طموحا . ومع ذلك فان العزم كان قد انصرف عندما بنى ستيفنسون قاطرته المشهورة الى تخصيص هذا الطريق لنقل البضائع فقط . واثبت انصاره انه قد ترتب على ذلك فعلا نزول اثمان الفحم فى دارلنجتون من ١٨ شلن الى $٨\frac{١}{٢}$ شلن للطن الواحد بعد ان تم نقله بالسكة الحديدية .

وكان الجمهور هو الذى اصر على ان يستفيد من هذا الاختراع الجديد فترتب على ذلك ان سمح للأهالى المحليين والزائرين بالسفر فى عربة خاصة ذات سطحين اطلق عليها اسم «التجربة» فكانت هذه العربة هى البداية والصورة الاولى لما اصبح يعرف اليوم بعربة صالون السكة الحديد .

على ان استخدام السكك الحديدية كاحدى وسائل النقل العالمية لم يبدأ التفكير فى تحقيقه الا عند نجاح التجربة الثانية وهو افتتاح الطريق بين مانشستر وليفربول فى عام ١٨٣٠ عبر المستنقعات الخطرة المعروفة باسم شات موس عندما قاد ستيفنسون بنفسه القاطرة المشهورة «روكيت» بسرعة ٤٤ ميلا فى الساعة وهى سرعة لم تكن فى وقتها تخطر على البال .

وقد ادركت الولايات المتحدة بسرعة مستقبل القاطرات البخارية العظيم فكلفت جورج ستيفنسون ببناء قاطرة بخارية سميت «امريكا» وارسلت عبر الاطلنطيق اليها . كما اوصيت شركة ستوربريدج ببناء عدة



القديم والجديد. الى اليمين: «الروكيت» وقد بنيت فى عام ١٨٢٥ وكان فى
امكانها قطع المسافات بسرعة تتراوح ما بين ٢٥ و ٣٠ ميلا فى الساعة. الى
اليسار: احدى قاطرات بريطانيا الحديثة ويمكنها السير بسرعة تزيد على
٩٠ ميلا فى الساعة.

قاطرات عرفت باسم «الاسود». واتخذ ماثيوس بولدوين القاطرة
«بلانيت» وهى القاطرة الاولى التى بناها ستيفنسون نموذجا لبناء اول
قاطرات امريكية ناجحة فى مصنعه بفيلاديلفيا فى عام ١٨٣٢ وقد اطلق
على هذه القاطرات اسم «اولد ايرنسايدز». وكان من الغريب بعد ذلك
ان يعمد المهندسون الامريكيون الى الرجوع الى النماذج السابقة على
ذلك فيتخذون من القاطرة «بافينج بيلى» اساسا لصناعة القاطرات
الامريكية حتى يومنا هذا.

وقد بدأت السكك الحديدية تنتشر بعد ذلك فى مختلف بقاع اوروبا
وكانت فرنسا والنمسا اسبق البلاد اليها. وكثر استدعاء المهندسين

البريطانيين لهذا الغرض حيث تركوا آثارهم الباقية فى السكك الحديدية التى مدت على اراضى القارة الاوروبية .

وكان نابليون على ما اعتقد اول من وضع شيئا شبيها باللوائح الخاصة بتنظيم قواعد المرور والسير على اليمين . ومن هنا نشأت عادة سير العربات على يمين الطريق فى اوروبا . ولكن كان بناء قاطرات السكك الحديدية ببريطانيا على اساس اعدادها للسير على يسار الطريق. فلما كلف المهندسون البريطانيون ببناء السكة الحديدية بفرنسا قاموا بانشائها على الطريقة البريطانية اى على اساس ان يكون سير القاطرة على اليسار وقد بقيت هذه الطريقة متبعة حتى الآن فى فرنسا .

وقد اعاق تقدم السكك الحديدية فى مراحلها الاولى من حيث القوة والسرعة عدم صلاحية الطرق الحديدية اذ لم تكن من القوة بحيث تستطيع ان تتحمل حمولة القاطرات الحديثة او العربات الثقيلة .

ولكن جورج بسمر (١٨١٣—١٨٩٨) قد استطاع ان يجد حلا لهذه المشكلة فأنشأ هذا المخترع الشاب من اهالى هارتفوردشير مصنعا فى سانت بانكراس الذى كان فى ذلك الحين من ضواحى لندن وبدأ يجرى تجاربه على الحديد. وبتمرير تيار شديد من الهواء على المعدن المنصهر بدأ طريقه الى اكتشاف صناعة الصلب .

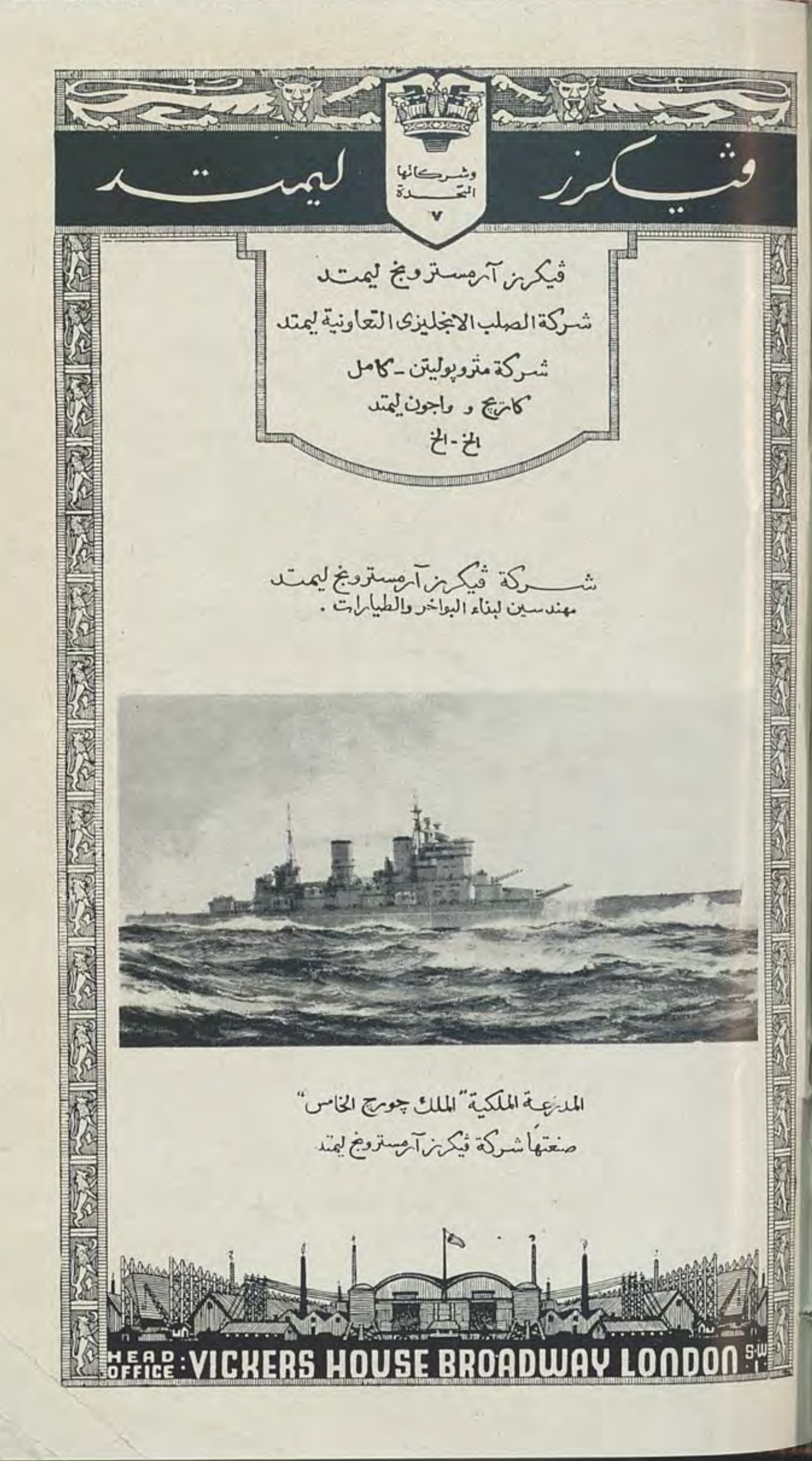
وقد عرض اختراعه بنجاح فى عام ١٨٥٦ وبذلك كان ثانى الاختراعات العظيمة الخاصة بالسكة الحديد فى طريقه الى النجاح الكامل .

ومكنت صناعة الصلب الجديدة من وجود قطارات الاكسبريس الحديثة السريعة .

ومنذ ذلك الوقت قام المهندسون البريطانيون ببناء السكك الحديدية فى جميع انحاء العالم فمدوا شباكها عبر جبال امريكا الشمالية والجنوبية العالية ومكنوا للسكك الحديدية من ان تخترق الصحارى وان تربط الهمالايا فى شمال الهند بترافانكور فى جنوبها .

ولا شك ان السكك الحديدية هى من اهم ما قدمت بريطانيا للعالم .

(26635) Wt. 34477/P4595 26-48-3 2700 12/43 L. & B.


ڤيكرز ليمتد
وشركاتها المتحدة
٧
ڤيكرز آرمسترونغ ليمتد
شركة الصلب الانجليزى التعاونية ليمتد
شركة متروپوليتن - كامل
كاريج و واجون ليمتد
الخ - الخ
شركة ڤيكرز آرمسترونغ ليمتد
مهندسين لبناء البواخر والطيارات .
المدرعة الملكية "الملك جورج الخامس"
صنعتها شركة ڤيكرز آرمسترونغ ليمتد
HEAD OFFICE: VICKERS HOUSE BROADWAY LONDON S.W. 1



الصناعات الكيماوية الامبراطورية

ذلك هو رمز شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية ، تلك الشركة الكيماوية البريطانية العظيمة التى تعرف فى العالم كله بالحروف الاولى من اسمها وهى .I.C.I . تكونت فى سنة ١٩٢٦ باتحاد شركات شهيرة مثل برونر موند ، وشركة نوبل للمفرقعات ، وشركة الكالى المتحدة وشركة الصباغة البريطانية . ويبلغ مجموع راس مال شركة .I.C.I اليوم ٧٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيها ولها فى الجزر البريطانية ما لا يقل عن ٧٣ مصنعا تستخدم ما يقرب من ١٣٠,٠٠٠ عامل . ورعاهى اكبر منابع الكيمياء الثقيلة فى العالم . كما انها احدى الثلاث من اكبر الشركات التى تصنع الصباغة والمواد الكيمائية العضوية ، وواحدة من اكبر الشركات التى تصنع المعادن غير الحديدية . وللشركة فوق ذلك هيئة تتولى بيع منتجاتها ممتدة فى كافة اطراف المعمورة . اما منتجاتها فعديدة . ومن سياسة الشركة الا تدخر جهدا او تبخل بمال فى توسيع مدى البحوث العلمية التى تمكنها من الاستمرار فى سبق منافستها ، ومن ان تكون السابقة فى انجاز المخترعات العظيمة ، وفى ذلك ضمان لاقتران خير نتائج ابحاث المعامل بما امتاز به الصناع البريطانيون فى المصانع من اتقان لاعمالهم . ولذلك فحيثما ترى رمز .I.C.I كن على يقين انك ترى خير ما فى امكان الصناعات الكيمائية انتاجه .

IMPERIAL CHEMICAL INDUSTRIES LIMITED, LONDON

الصناعات الكيماوية الامبراطورية ليمتد

Agents :—Imperial Chemical Industries (Egypt) S.A., Egypt, Sudan.
Imperial Chemical Industries (Levant) Ltd., Palestine, Syria, Transjordan, Iraq.